السلام على الحسين الزكي علي

نفحات من سورة التين*

بمناسبة مولد الإمام الحسن السبط عليه السلام

جاسم الصحيّح •
المملكة العربية السعودية

توضأت فوق أوتاري تلاحيني ... بما تبقى هنا من جمر (صفين)
وسبحت للظى تحيي شعائره ... في نغمة أسلمت قلبي لأتون
هذي تلاحيني الرهبان ما انطفأت ... من الصلاة على ثغر البراكين
أطلقتها به بلبلاً منقار لهب ... فارتد يختال في ورد ونسرين
أهدته بستانها الذكرى فأوسعه ... شدوا، وكم مل من ضيق البساتين
يا بلبل العمر.. أقبل.. إن موسمنا ... ما عاد موسم زقوم وغسلين
تعال نستغفر التين الذي هبطت ... آياته ونصلي للرياحين
في غرفة الوحي حيث (المصطفى) خشعت ... أعضاؤه.. يتلقى (سورة التين)
وحيث (زهراؤه) في طلقها اتحدت ... بالغيب خلف حدود العالم الدوني
حتى إذا اكتملت طلقاتها، وإذا ... بـ(المجتبى) سورة في صدر (ياسين)

* * * * *

يا سورة (التين) في أغلى مطامحها ... يوم استهلت بأحلام البساتين

* منتقاة من كتاب (مختارات من مهرجان مولد الإمام الحسن عليه السلام).

جـاءت تقود على إيقاع خطوتها مواسم الخصب بين (التاء) و(النون)
فهالها النبع.. ما باضت حمائمه إلا على الجمر في أحشاء تنين
والشمس ظمآى إلى الشمس التي احترقت على الطريق إلـى فجر البراهين
يتيمة كـانـت الأيـــام فـي زمـن مـا بين أوردة الآثـــام، مدفون
هناك حيث (ابن سفيان) على سفر يقتاد في الجرح رحلات السكاكين
فما انتهت رحلة في نحر معتقد إلا ابتدت رحلة في نحر قانون
سـار النزيف قطاراً هـادراً عرماً فـي سكة عبر أحـشـاء القوانين
ركـابـه لـحـج حـمـراء راحـلـة من بئر (بـدر) إلـى آبـار (صفين)
من ذا سيوقف هذا النزف من لغة تمزقت بين مطعون ومطعون
تـاه القطار ولـم تحفل بمقدمه محطة تـزدهـي فـي غصن زيتون
حتى تجليت يا مـولاي من حلم تـوحـدت فيه أحـلام الميامين
كنت المحطة ما ضاقت لسواعدها بالقادمين مـع الآلام والـهـون
آويـت كـل دم ضـاعـت هويته بـيـن الـرعـاع فـداء للنياشين
حتى أعـدت إلـى الأسماء عزتها مـتـوجـاً كـل مـجـدوع بعرنين
فـارتـد كـل دم يجلو ملامحه زهـواً، وعـاد رضـيـاً كـل مغبون
وعدت وحدك مغبوناً.. فواغضبي مـن أمـة شوهت وجـه الموازين
مازلت تملؤها بـ(الصالحات).. فهل رجعت منها بـ(أجر غير ممنون)!
يا مطعماً كل ماعون.. كفاك ندى أن تنثني عـائـداً من دون ماعون

* * * * *

يا سـورة التين.. هلا عدت زاهية في روضة الـروع، عـذراء الأفانين

ما انفك داخلنا الإنسان تحكمه ... أسطورة قاءها جوف الثعابين
أسماؤنا سقطت سهواً على طرق ... ممتدة بين تزييف وتلوين
لم تغف أحلامنا في ليل غربتنا ... إلا على قمر بالوهم مسنون
نقسو على البحر.. والحيتان تملؤه ... ظلماً، فأمواجه آهات محزون
يا بحر.. عفواً.. فما زالت فراعننا ... تدعوك: أول حكام الفراعين
(ذو النون) ما كان إلا واحداً، ظفرت ... به سجونك حيناً في الأحايين
ما كاد يشكو الأذى، حتى انفرجت له ... عن ساحل أخضر النجوى، و(يقطين)
تعال للبر وانظر ما الذي التقمت ... حيتانه من أماني كل مسكين
فكل (حوت) هنا يشكو مجاعته.. ... يشكو وفي بطنه مليون (ذي النون)
والأرض تصرخ في ساعات مولدها: ... من ذا سينفذ أحلام الملايين
يا صرخة الأرض عودي فالطريق إلى ... دنيا الأمان طريق غير مأمون

* * * * *

يا سورة (التين).. لا تأسي إذا سقطت ... آياتك الخضر من أشجار تدويني
فالدهر حولي أيام مطففة ... لم تبق للروح ثقلاً في الموازين
لكنني لا أصلي غير مقتنع ... بما احتوته صلاتي من مضامين
ما أبعد الشعر عن شعري إذا اختلفت ... ملائكي في رؤاه عن شياطيني
لم يولد البعض من أمشاج قافيتي ... إلا انطوى البعض من أمشاج تكويني
بعضي تبرأ من بعضي مكابرة... ... يا (جاسم) الروح شيع (جاسم) الطين
جنازتي في حياتي ليس يحملها ... غيري، ولن يتولى الغير تكفيني
والآن حين سرى، في كل جارحة ... موتي الذي بانعتاق الروح، يحييني

من ذا سيمسك روحي بعدما بلغت ... تحريرها الآن من أغلال معجوني
لـم يبق مني سـوى نـور تطارده ... سود الخفافيش في ليل السلاطين
قالوا: وما اسمك يا هذا!! فقلت أنا: ... (سحابة) تتحدى بطش (هـارون)
لن يزدهي بـ(خراجي) خصر راقصة ... في قصره.. هزها إعجاب مفتون
بيني وبين أمير الـراقـصـات دم ... قـدسـتـه عـن طـلاء للفساتين
قالوا: وماذا عن العنوان.. انفتحت ... ما بين كفي، أشـداق الطواحين
عنواني التيه ما اهتزت عواصفه ... إلا لتحمل للدنيا عناويني
قالوا: ومن أنت يا مسكين ثورته! ... قلت: المهرب آهـات المساكين
بيني وبين السما فـي كـل قافية ... درب إلى العرض أطويه ويطويني
قالوا: وماذا عن النار التي انتفضت ... في جانحيك! فقلت: النار تغريني
لا أستقر متى أشعلت أغنية ... ما لم أوزع لظاها في الشرايين
قالوا: وماذا عن الأحساء.. فاختلجت ... روح الصبابة في مكنون مكنوني
أحساء حوريتي في الخلد، سجلها ... (رضوان) باسمي في سفر الميامين
ما زلت أمهرها بالتضحيات، وما ... أقـل فـي مهرها كـل القرابين
قصائدي هي أسرار النخيل، فمن ... لم يفهم النخل لم يفهم دواويني
لا أشرب الحب إلا حين تعصرني الـ ... أحساء في كأسها الأوفى، وتسقيني
عشنا غريبين في الدنيا، يوحدنا ... مصيرنا فـي جحيم للمفاتين
قلبي عصارة من جنوا بنخلتها ... عشقاً يرقرقه من حينهم، حيني
إن الجنون ابتكار فـي شريعتنا ... أهـل الـهـوى، فهنيئاً للمجانين

* * * * *

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

عبق الشهر الفضيل

المشرف العام ١٠

قرآنيات

الخلاصة في لغة القرآن الكريم

د. زهير غازي زاهد ١٢

زخرفة وتذهيب المصاحف عبر القرون

حسين جهاد الحساني ١٦

آمن الرسول

معالم التيار الانقلابي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

علي الفحام ٢٤

استطلاع المجلة

مكتبة كاشف الغطاء العامة

حيدر الجد ٣٨

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٥٦

واحة الأدب

لمحات فنية من وصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

د. عبد الإله العرداوي ٦٠

قصيدة: جرعة من حوض الولاء

الشيخ محمد جابر الجاسم ٦٤

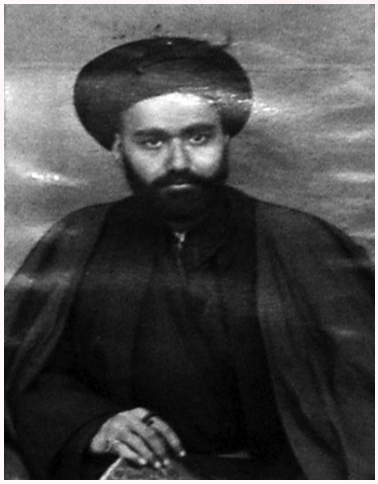

ص ٧٦

ص ٢٤

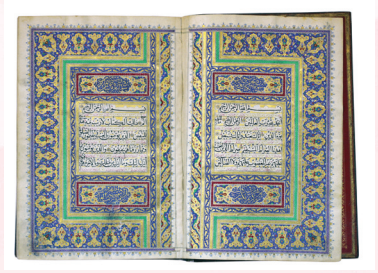

ص ١٦

قصة: غداً يكتمل القمر

بنت العراق ٧٠

للفضيلة نجومها

الشيخ أبو علي الطوسي ودوره في الحركة العلمية

د. محمد جواد فخر الدين ٧٢

من علماء الهند.. السيد علي نقي النقوي

تقديم: هيئة التحرير ٧٦

طروحات عامة

أثر العقل في إعادة تشكيل الوعي الإسلامي

د. عبد علي حسن الجاسمي ٨٢

عصر التقنية فائقة الصغر

أ. د. محمد باقر فخر الدين ٨٨

الكتاب الإلكتروني بين إيجابياته وسلبياته

هاشم حسين ناصر المحنك ١٠٥

المصطلحات المكانية في دعاء السمات

حيدر المالكي ١٠٨

النباتات الطبية.. أسرار وخفايا

د. باقر جلاب الربيعي ١١٤

الصحف والمجلات الصادرة في كربلاء المقدسة

سلمان هادي آل طعمة ١٢٠

أجوبة مسابقة العدد (٢٩ـ٣٠) وأسماء الفائزين ... ١٢٨

مسابقة العدد (٣٢) ١٢٩

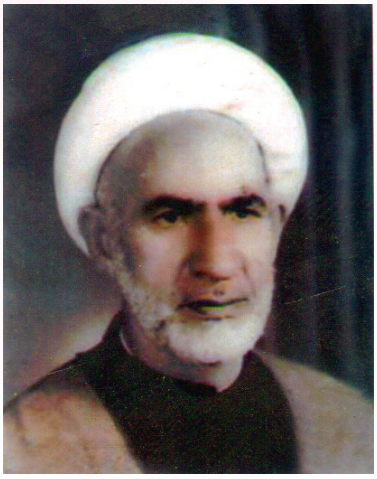

ص ١٢٠

ص ٦٠

ص ٨٢

عبق الشهر الفضيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تهبّ علينا هذه الأيام نفحات عطرة من عبق الشهر الفضيل، الذي يكتنف مستقبليه بالرحمة والرضوان، والذي دعا الله سبحانه عباده فيه ليكونوا من أهل طاعته وغفرانه. ونحن إذ نستقبل هذا الشهر العظيم بالنفحات الربانية، والآيات الروحانية، التي تفيض على مستنشقيها عبق الطاعة والعبودية لله سبحانه نحبُّ أن نذكّر أنفسنا وإخواننا بأمر طالما أكّد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) في حق الشهر المبارك.

إنّ لله سبحانه وتعالى أماكن يحبُّ أن يُدعى فيها ليجيب، كما أنّ له أياماً يحبُّ أن يُتقرب إليه فيها بالطاعات ليعود على المتقربين بالعطف والرحمة، فكانت منها أيام الشهر المبارك، لذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخطبة التي خطبها في آخر جمعة من شعبان أنه قال: «أيها الناس، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، وليا له أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله...». ومن هنا لابد لنا من وقفة قصيرة نتأمل فيها هذه العبارة ذات البعد الدلالي الواسع.

من المعلوم لكل أحد أنّ حقوق الضيف على مضيّفه كثيرة، كحسن استضافته بالإحسان إليه، وتوفير أسباب الترفل بالنعم، وفسح المجال له لأن يختار ما يشاء من أنواع الملذات المباحة. كما أن حقوق المضيّف على الضيف كثيرة أيضاً كالتأدب بحضرته، وحفظ حرمته بحفظ الجوارح

من أن تزيغ معتدية على حقوقه... لذا لابد من حفظ عينه من أن تسرق ما لا يحب النظر إليه، وحفظ يده من أن تنال ما لا يريد نيله، وحفظ لسانه من أن يخرج عن الأدب... وهكذا.

ولو قام المضيّف بآداب الضيافة لابد من أن يقوم الضيف بالآداب أيضاً، وإلا لعدّ ناكراً للجميل، ولخرج عن العقلاء وعدّ في عداد المعتدين الذين يذمهم العقلاء.

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد قام بآداب الضيافة على أحسن وجهها... فأي نعمة منعها الله تعالى عباده؟! وأي خير لم يرسله إليهم؟! ونعمُ الله تعالى لا تعدّ ولا تحصى، كما قال هو جلّ اسمه: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾. كما أنه أتاح الفرصة للنيل من الملذات المباحة والتمتع بهذه الدنيا مع حفظ حقوقه وحقوق الآخرين. لذا على المؤمنين أعزّهم الله تعالى التأدب بحضرته سبحانه، وحفظ حقوقه المتمثلة بحفظ اللسان والعين واليد وسائر الجوارح من التعدي والزيغ حتى ورد عنهم عليهم السلام أن الصيام ليس إمساكاً عن الطعام والشراب فحسب بل هو ـ بالإضافة إلى ذلك ـ إمساك الجوارح عن المعاصي، وكما أن الطاعة في شهر رمضان تعادل أضعافها في غيره من الشهور، كذلك المعصية في شهر رمضان تعادل أضعافها في غيره من الشهور، لما فيها من الهتك المضاعف.

وقد ورد عن بعض الأئمة عليهم السلام مخاطباً أحد صحابته: «إن الحسن من كل أحد حسن ومنك أحسن لقربك منّا، وإن القبيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح لقربك منّا».

فلابد من رعاية هذا الحق العظيم وأدائه على أحسن وجه مع التوجه إلى الله سبحانه في أن يوفق لأداء حقوقه فهو المشكور على النعمة والمشكور على شكرها، وحسن النية معه، والإنابة إليه، وسؤاله المغفرة، والعفو عما سلف، والابتداء بصفحة جديدة محلّها تكون بداية حقيقية، يعود فيها المؤمنون إلى رضوان الله، ويحضون غفرانه فإن الله تعالى ﴿**مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾، كما أنه يعين من جاهد فيه ويهديه سواء السبيل ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن سمع فوعى، وهدي فهدى، وأجاب داعي ربه، وأناب إلى خالقه، وعرف قدر نفسه. وأستغفر الله تعالى لنا ولإخواننا المؤمنين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ■

المشرف العام

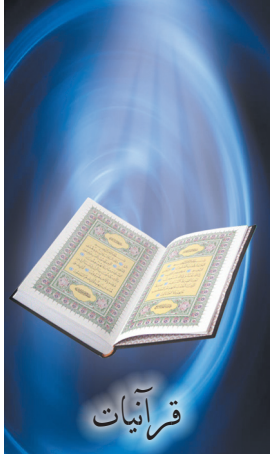

الخلاصة
في لغة القرآن الكريم

د. زهير غازي زاهد ●
كلية الآداب/ جامعة بغداد

ينابيع

كانت الحياة في الجزيرة وأطرافها تدور وتتحرك عبر القرون دورات متوازية حول مركزها مكة من جهة وحول مراكز ممالكها من جهة أخرى، وتتداخل فيما بينها في بواديها غزوات وحروباً تتآكل فيها المجتمعات القبلية، تتسع في جوانب وتختفي في أخرى، فالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وزبدتها اللغوية كانت بين الثبات والتحول لكنها تتحول دائماً بين الأجيال، فمن مكة تخرج القوافل نحو الشمال مارة بالكتل القبلية في طريقها تتعامل معها مستأمنة إياها بكل وسيلة، لأن حياة الصحراء كان قوامها الغزو، وهذا يقتضي القوة فلا حياة ولا شأن للضعيف، فكلما اتسعت القبيلة وكثر عددها ازدادت قوة وازدادت نفوذاً على ما حولها ونصبت زعماء يقودونها، وكل ذلك يزيد من توحيد الخطاب في الأخذ والعطاء.

ومرت حروب واسعة دام بعضها أربعين سنة كما تحدث الرواة والإخباريون كحرب البسوس بين تغلب وبكر وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وهذه الأسماء كل واحد منها مجموعة قبائل تتحالف فيما بينها وتتفاهم وهي جميعاً تتحدث بلسان عربي تتداخل فيه الظواهر اللهجية وإن كانت كل قبيلة تحتفظ بإرث تسلمته من أجيالها الماضية، وهذا الإرث

لا يصمد عبر الزمن، وتتابع الأجيال وتغير الأحوال خصوصاً إذا كانت القبيلة وسط حركة دائبة وصلات بغيرها مستمرة. هذه الحال للكتل القبلية التي في الصحراء لا يمسكها ولا يجمعها نظام سوى نظامها القبلي.

أما الممالك التي تأسست في مواطن من الجزيرة وعلى أطرافها كمملكة كندة الواسعة النفوذ الممتدة من اليمن حتى نجد والحجاز إلى مملكة اللخميين في الحيرة[1]، ومملكة الحيرة في شرق الجزيرة على حدود فارس ومالها من السيطرة والقوة، ومملكة الغساسنة في الطرف الشمالي على حدود البيزنطيين. فهذه الممالك بسطت نفوذها وصلاتها الواسعة بين العرب، وما كان لسانها إلا العربي الذي تفاهمت به الأجيال، ولا ننكر ما كان من ظواهر لهجية محلية خاصة. وكان بهذه الممالك نشاط غير السياسة والاقتصاد وهو نشاط في المجال اللغوي باجتذاب الشعراء وتشجيع الخطباء إذ كان الشعر هو حكمة العرب ووسيلتهم الإعلامية لنشر فضائل القبيلة ومدح حكام المملكة وذيوع صفاتهم وكرمهم. وكان الشعراء يتنقلون بين هذه الممالك والأوطان ينشدون شعرهم ويذيعون بين الأقوام، ويتناقل الناس ما يرونه صالحاً بديعاً. وفي الجاهلية انتخبت قصائد عرفت بأنها ذات قيمة فنية عالية سميت بالمعلقات أو الأعلاق أو المذهبات....

وهذه الممالك والقبائل كان لها تقاليد في الاجتماع والعيش، فكان لها منتديات

ومقامات تجتمع فيها وكان لها مواسم وأسواق تلتقي فيها، وكانت لها مناسبات دينية وحج تقصد محجته وتقضي مراسيمه وقد يطول بها المقام في اللقاء والتفاهم ولم يكن لسانها إلا العربي الذي اعتادت عليه عبر أجيالها وحياتها، وإذا عرفنا أن الممالك الثلاثة المذكورة كان قوامها وأعمدتها من جرات اليمن، كلهم يمنيون، وأصلهم سواء كندة في الحجاز وتهامة واللخميون في الحيرة والغساسنة في الشام إضافة إلى من سكن أماكن أخرى ممن هاجر من اليمن مثل خزاعة التي استوطنت مكة والأوس والخزرج الذين استوطنوا المدينة كل هؤلاء لم يكن لسانهم يختلف عمن باشروا لقاءهم وتعاملوا معهم في ممالكهم بدليل ما روي من الشعر والأمثال والحكم والخطب التي رويت في عهدهم وتناقلها الناس وفهموها.

كل ذلك يبقى مرتبطاً بمركز مهم في الاتصال والحياة هو مكة موطن قريش وما كان فيها من نشاط اقتصادي وسياسي وديني ولغوي أيضاً فيما سبق من حديث رحلاتها التجارية وقيامها على البيت الحرام الذي كان العرب يقصدونه كل عام وله تقاليده ونظامه ومحللاته ومحرماته. وقريش لم تكن تميل في حياتها إلى الغزو والحروب وإنما اتجهت للتجارة وحسن المعاملة مع من يؤمها من العرب أو من تمر به في تجارتها منهم وصلاتها مع المماليك الأجنبية أيضاً بأخذها الإيلاف (الجعل)، لتمر قوافلها بسلام وأمان عبر الطرق الصحراوية المخيفة التي كان يكثر فيها السلب، فذلك عظيم التأثير والقلق لديها.وآخر ما رأينا القافلة الضخمة التي قادها أبو سفيان وسماعه بتحفز المسلمين عليها لكسر شوكة قريش وهياج قريش عند سماعها الخطر على قافلتهم وحدوث معركة بدر الكبرى.

وقد ظلت قريش ومن يتعاون معها من العرب بتجهيز القوافل أزماناً إلا ما كان من الحوادث التي جعلتها في موقف حرج انتصرت أخيراً كحملة أبرهة الحبشي لتخريب مكة والبيت وتحويل القداسة إلى صنعاء التي بنيت فيها كنيسة (القليس)، وارتباك قريش في الدفاع عن البيت الحرام وفشل محاولتهم السلمية لذلك لإقناع أبرهة حتى حصل بجيشه ما دمره وحطمه بقدرة الله وذكرت سورة (الفيل) في القرآن الكريم ذلك وكانت ولادة النبي عليه الصلاة والسلام في هذه السنة ٥٧٠م أو ٥٧١م[٢].

حتى إذا وصلنا إلى عهد قريب من الإسلام وجدنا لغة عربية يتفاهم بها العرب ويخطبون بها وينظمون شعرهم وأمثالهم، وتتداولها العرب في الجزيرة وأطرافها وممالكها. بها يتغنى الشعراء وبها تكتب العهود والمواثيق وبها تدور الوفود والأحلاف. هذه اللغة تتكلم بها قريش وتميم وغيرها من قبائل الحجاز

ونجد وتهامة والعراق والشام واليمن ولكن لا ننكر ما ورثته بعض المواطن من ظواهر لهجية قد تصل حد الغموض كما لغة حمير في اليمن.

أما الظواهر الأخرى في عربية قبائل الحجاز ونجد وتهامة وغيرها فهي ظواهر لا تمس جوهر اللغة إنما هي فروق في نطق حرف بين أهل الحاضرة وأهل البادية كتخفيف الهمز لدى أهل الحجاز وتحقيقها لدى تميم أو نطق حروف أخرى كالجيم والقاف أو إبدال حروف مكان أخرى أو ما يوافق اختلاف البيئات الاجتماعية أو المكانية بين العرب. فمن سكن المدينة لديه كلمات قد لا تكون لدى ساكن البادية بسبب اختلاف البيئة.

نعم احتفظت قريش بنطق الحروف وقيس عليها نطق الآخرين لذلك وصفت قريش بالفصاحة بعد نزول القرآن الكريم بالعربية التي نطق بها الرسول ولكن حتى لغة قريش لم تسلم من بعض الظواهر اللهجية فقد روي أن في لغتها غمغمة وهي صفة ضعيفة في اللغة وروي في مكة من نطق حرف الجيم ياء في قراءة (الشجرة).

فاللغة الأدبية التي شاعت قبل الإسلام ونزل بها القرآن الكريم هي التي صارت مقصد الدارسين وتغلبت هذه اللغة على الظواهر اللهجية الأخرى الخاصة، وأصبحت لغة القرآن هي القياسية وهي التي وضعت لها القواعد والدراسات بعد أن استقر الإسلام والنظام الاجتماعي، وقد احتفظت القراءات القرآنية المختلفة بجملة من الظواهر اللهجية لمختلف القبائل العربية إلى جانب القراءات الصحيحة، وبذلك ورد الحديث الشريف: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن)[٣].

وروي أيضاً: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما يتيسر منه)[٤]، وروي بصورة أخرى أيضاً: إن أقرب الأقوال إلى المنطق هو القول: إن القرآن نزل بلسان عربي، يخرج بهذا الرأي من اعتمد النص القرآني وأهمل الخلاف (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وهو حديث روي بطرق تحتاج إلى نقد وفيها ضعف، فقد أشار القرآن الكريم إلى لغة القرآن في أحد عشر موضعاً كلها يشير إلى أنه نزل بلسان عربي. قال تعالى:

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[٥].

(... وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)[٦].

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٧].

(وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا...)[٨].

وانظر سورة طه/١١٣، سورة الزمر/٢٨، سورة فصلت/٣، سورة الشورى/٧، سورة الزخرف/٣، سورة الأحقاف/١٢، سورة إبراهيم/ ٤ ■

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٣/١٤٨-٢٤٩، وما بعدها، ملوك كندة، جونار أولند، ترجمة الدكتور عبد الجبار المطلبي، ص١١ وما بعدها.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣/٣٩٩-٤٠٢.

(٣) المجازات النبوية، للشريف الرضي، ص٥١.

(٤) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ١/١٩.

(٥) سورة الشعراء/١٩٣-١٩٥.

(٦) سورة النحل/١٠٣.

(٧) سورة يوسف/٢.

(٨) سورة الرعد/٣٧.

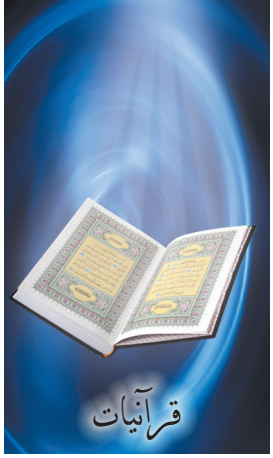

زخرفة وتذهيب المصاحف عبر القرون

حسين جهاد الحساني •
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع

(القرآن الكريم) كتاب الله وكلمته التي اجتمعت حولها الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها نزل على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وحياً منجماً على الثلاثة والعشرين عاماً الأخيرة من عمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

لذا فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم شديد الاهتمام بالوحي وتثبيت النص القرآني محفوظاً ومسجلاً، فعمد بنفسه إلى تلقينه للحفاظ وإملائه على أهل بيته وأصحابه حتى كتبوا آياته على الرقاع وعسيب النخل واللخاف والرق...ثم بعد ذلك بدأت عملية التدوين والجمع وغيرها.. وبدء معها الاهتمام بالمصحف الشريف أكثر فأكثر من حيث جودة الخط وحسنه ووضع التعابير الجمالية عليه وغير ذلك من اهتمامات الخطاطين والنساخ.

لذا فقد يعد فن المصاحف ـ كما يقال ـ من الموضوعات المهمة في مجال الآثار الإسلامية بعامة والفنون الزخرفية بخاصة. وعلى الرغم من أنه يشكل القاعدة الأساسية لدراسة فنون الكتاب، إلا أنه بقي موضوعاً هامشياً لم يحظ باهتمام

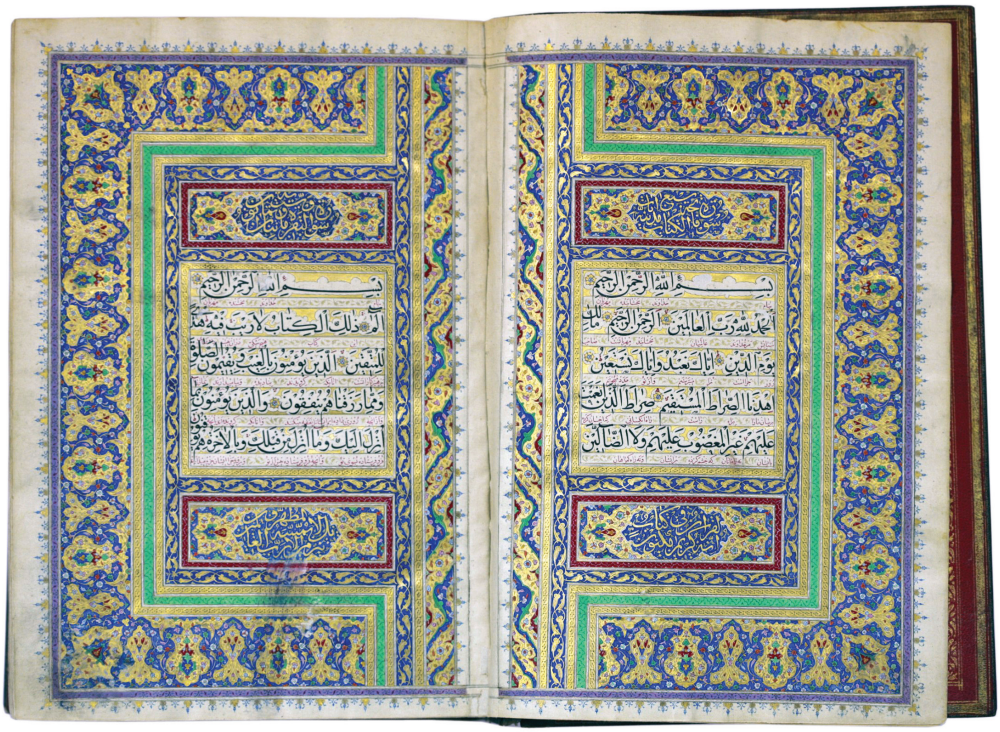

الباحثين به، فكان اهتمام الباحثين منصباً على الخط دون غيره من الفنون المصحفية الأخرى... لذلك جاءت لفظة مصحف على الشكل الجديد للقرآن الكريم بعد جمعه، إذ اختلف الجميع على الاسم الذي يطلقونه عليه، فقال بعضهم نسميه (سفراً) فاعترض كثيرون، وقال آخر نسميه مصحفاً على ما شاهدوا مثله في الحبشة، فاجتمع الرأي على ذلك، وحسم الأمر، فأصبح هذا الاسم لا يطلق إلا على الشيء الذي جمع القرآن دون كل مجلد.

ومن هنا شاعت هذه الكلمة وصارت تدل على القرآن الكريم فقط وإلى يومنا هذا...

فنون المصحف الشريف:

بعد تدوين القرآن وجمعه بدأ الاهتمام بترتيب وتسطير هيكلية المصحف الشريف من الداخل والخارج، فكانت عملية إخراج المصحف الشريف تمرّ بمراحل عدة، يأتي في مقدمتها الكتابة ثم التصوير والرسم غالباً ما يكون عمل الناسخ منفصلاً عن عمل الرسام ثم تأتي مرحلة التذهيب أو التحلية والزخرفة... لذا فقد كان اهتمامنا هنا فقط في المرحلة الأخيرة.

١ـ التذهيب والتحلية:

لم تحدد الوجهه الأولى لفن تذهيب الكتب والصحف وغيرها، ومع ذلك المرجح أن تكون الكتب المقدسة هي الأولى في ذلك، إذ أن تذهيب هذه الكتب كان معروفاً في بلاد المشرق منذ عصر ما قبل الإسلام... غير أنه لم يرد في الأخبار في أيام الجاهلية ما يفيد أنهم عرفوا تذهيب الكتب والمخطوطات سوى ما ذكر من قصة كتابة المعلقات بماء الذهب وقد علقت على أستار الكعبة تخليداً وتمجيداً

لهـا، وكما جـاء عن أحـدى قصائد عنترة العبسـي إذ كانوا يسـمونها بالمذهبة، كما ذكره ابن قتيبة وابن عبد ربه وابن رشـيف القيروانـي... فـإذا ما صح ذلـك فإن تلك المعلقات تعد أقدم المخطوطات المذهبة عند العرب.

أما بعد في صدر الإسـلام فلم تسعفنا المصادر إلى الاهتداء إلى معلومات تفيدنا عن هذا الموضوع، سوى الروايات والتي تفيد بـأن المصاحف التي دونت في صدر الإسـلام كانـت علـى الأرجـح خالية من التذهيـب، إذا الصحابة الأوائـل كان لهم موقفاً دينياً متشـدداً في ذلك كما سـيأتي من خلال البحث.

ويمكن القول أن المصاحف التي كتبت في عهد النبـوة والخلافـة وبالتحديد في نصـف القـرن الأول كانت خاليـة من أي ضرب من ضـروب التذهيب، وما وصلنا من مصاحف نسـبت إلى الصحابة الأوائل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالتحديد ما نسـب لمصحف الإمام أمير المؤمنيـن عليه السلام كما هو موجود فـي بعـض الخزانـات الخاصـة والعامة في النجف وبغداد ومشـهد، لـم يثبت أن التذهيـب الذي يحمله هـذا المصحف هو لتلك الحقبة المعلومة.

ولكـن علـى الرغم من تلـك المواقف كلهـا فـان هناك بعـض النصوص تشـير إلى أن بعـض من هـذه المصاحف دونت في الكوفة فـي أواخر خلافة عثمان كانت مزينة بالذهب دون الإيضاح عن أسـلوب ذلك التذهيب.

ثـم بدأت تلاقـي هذه العمليـة (عملية التذهيـب) الاهتمـام والإقبـال عليها في أواخـر القـرن الأول الهجـري، وذلـك لمواكبة الحركـة الجديدة للخط فضلاً عن إجلال المسلمين وتعظيمهم لكتاب الله عز وجل ناهيـك عن جعله مـادة للبيع تعرض في دكاكيـن الوراقين والنسـاخ...والجدير بالذكر أنـه إلى جانب الذهب اسـتعملت الفضـة أيضـاً لتحلية وتزييـن المصاحف بها وفي أواخـر القرن على أقـل تقدير، ولعل الأمر يعود إلى رخص ثمنها بالنسـبة للذهب وتوفر وجودها أكثر فأكثر، إلا أنه لـم يعرف الكيفية التي اتبعت في تفضيض الصفحـات القرآنية إذ لـم يصل إلينا منها شيء، ومع ذلك فإن هنالك نصوصاً تشير إلى تفضيض تلك الصفحات، كما روي عن عبد الله بن عبـاس وعبد الرحمن بن زياد وغيره في ذلك.

وفي أواسـط القرن الثاني ارتفعت في الأفق بوادر النهضة نحـو الإبداع في هذا الفن والتي حرص المعنيون على الاهتمام بها في صناعة تذهيب الكتاب.

ومع أن المصـادر لم تتطرق إلى كيفية ذلك الاهتمـام، إلا أن الروايات أوضحت أن بعض الكتب قد جرى تمويهها بالذهب فـي العصر العباسـي الثانـي، وأن بعضاً من قصائد الشـعر المهمة والتي كتبت في مناسبات خاص ولأغراض خاصة قد دونت بمـاء الذهب، أما المصاحف فلم تسـعفنا المصـادر بأخبار وافية عـن القرن الثاني والثالـث عن كيفيـة تذهيبهـا الا ما وصل إلينـا من مصاحف تعود إلـى تلك الحقبة، وخاصة ما شـاهدته في خزانـات النجف وبغـداد الخاصة والعامـة، إلا أنه لم يثبت لدينا تذهيبها في ذلك الوقت أو بعده... إلا أن أبن النديم يعد مـن أهم المصادر التي عرضت صراحة لذكـر أصحاب هذا الفن الرفيـع خلال تلك القرون مـن المذهبين فـي بغـداد وغيرها من أمثـال: اليقطين،

وإبراهيم الصغير، وأبو موسى بن عمار، ومحمد بن حارث الخشني وغيرهم.

ثم تطور التذهيب قرناً بعد قرن حتى كان أوجّه في القرن الثامن والتاسع وما بعده، أذ تفنن المذهبون في أسلوب التذهيب بأروع الصور مما شكل مع الزخرفة رونقاً عالياً في الجودة والعمل.

ومما يلاحظ أن التذهيب كان في أول الأمر مقصوراً على أجزاء معينة من الصفحات مثل الأشرطة التي تفصل السور بعضها عن بعض، والفواصل بين الآيات، وبعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف وأقسامه، وكان الشريط أهم هذه الأجزاء جميعاً، وقد زين بعناصر زخرفية مختلفة، وجرى تذهيب الصفحات الأولى والأخيرة للمصحف، كما زينت وذهبت علامات نهاية الآيات، وتقسيمات القرآن الأولية على شكل (نصف وثلث، وربع... الخ)... وبمرور الزمن تم تذهيب فهرس السور وفهرس الآيات والكلمات والأحرف المكتوبة على صفحات مزينة، ونرى في المصاحف التي تمت دراستها في هذا المضمون أنواعاً أخرى من الألوان والتزويق إضافة مع التذهيب مسحة جمالية أعطت للصفحات الأولى من المصحف رونقاً جمالياً رائعاً ومساحة واسعة للذهن في الإبداع في هذا الفن.

تكوين مداد الذهب:

لعل السكون من حصول على المصادر المتقدمة عن كيفية تحضير مداد الذهب، حملت كثيراً من الباحثين إلى الاعتقاد بأن الوصول إلى ذلك الفعل لم يتم قبل حلول القرن السابع أو الثامن الهجريين، ولكن واقع الروايات والأخبار التي وصلت إلينا تشير إلى خلاف ذلك، من أنها تلمح من حصول الموالد الأولية لمداد الذهب للقرن الأول الهجري، فهذا خالد بن

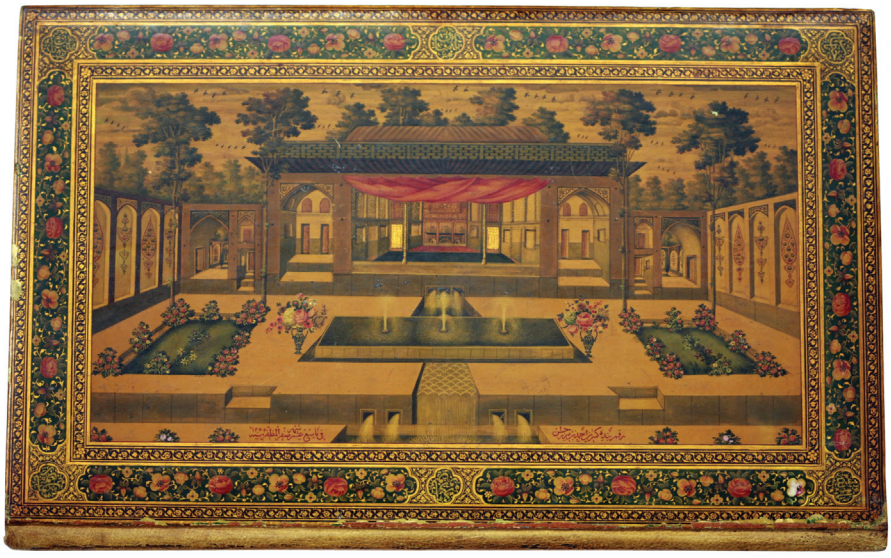

التصوير والزخرفة والتذهيب على أغلفة المصاحف

أبـي الهياج ثم تبعه جابر بـن حيان، الذي حضرّ حبراً مضيئاً من المرقشيثا الذهبية (كبريتيد النحاس وغيره من المعادن) واستعمله الخطاطون والمذهبون في كتابه المخطوطات الثمينة وتجميلها بدلاً من الذهب الغالي.

وقد أشار القلقشندي في صبح الأعشى في طريقة ملخصة في صناعة المداد الذهبي إذ يقول: أن رقائق الذهب كانت تحل في حامض الليمون النقي في أناء صيني (فرفوري) أو نحوه ثم يضاف الماء النقي إلى الناتج المذاب ويترك بعدها المحلول ليترسب الذهب، ثم يؤخذ الراسب ويوضع في أناء زجاجي مع قليل من الزعفران وقليل من ماء الصمغ المحلول، عندها يكون المحلول جاهزاً للكتابة، فاذا كتب به يترك حتى تجف ثم تصقل بعد ذلك.

وهناك طرقاً كثيرة في هذا المجال أكثر تطوراً وسهولة في صناعة ماء الذهب، إذ تم التوصل إليها بعد عصر القلقشندي، ولا يسعنا ذكرها هنا لضيق المجال.

وقد اشرنا آنفاً أنه قد استعمل مع اللون الذهبي ألواناً أخرى استعملها المذهبون بعد ما حصلوا عليها نتيجة تجارب علمية طويلة الهدف منها الحصول على ألوان جذابة يمكنها أن تضفي جمالاً على الزخارف التي تزين الصفحات الأولى والأخيرة، فكانوا يحصلون على اللون الأزرق من حجر اللازورد، واللون الأحمر من تحضير الزنجفر (وهو معدن حاصل من ازدواج الكبريت مع الزئبق ـ كبريتيد الزئبق)، واللون الأخضر من تحضير الزاج الأخضر وهو (كبريتات الحديدوز) وهكذا غيرها.

٢ـ الزخرفة:

هو الفن الذي برع فيه العرب المسلمون، إذ أن أبرز مميزات الفن العربي الإسلامي أنه فن زخرفي، فقد استفاد الفنان من كل شيء وقع عليه نظرة من عناصر سواء كانت نباتية أو حيوانية، وأخذ يكيف هذه العناصر مبعداً إياها عن صورتها الأصلية لتحقيق غاياته ومآربه وأهدافه.

فلذا فإن ليس من اليسير تحديد تاريخ دقيق لظهور العناصر الزخرفية على صفحات المصاحف، ولكن المسلم به عن الاختصاصيين والعلماء في هذا الفن في أن المصاحف التي كتبت في أوائل القرن الأول كانت خالية من أي إضافة على نص القران الكريم وكما أشرنا إليه آنفاً في موضوع التذهيب.

ويمكن الإشارة إلى أن أقدم الزخارف القرآنية هي تلك النقاط السوداء الثلاث التي كانت توضع للفصل بين آيات القرآن ثم اختلفت أشكال تلك الفواصل فيما بعد، لتصبح على صورة خطيطات رفيعة أو نقاط أكثر عدداً، مكونة بذلك شكلاً مثلثاً أو على شكل وريدات صغيرة تزين كثيراً من صفحات المصحف الشريف.

ثم بدأت زخرفة فواصل السور إذ كانت أول أمرها على شكل خطوط مستقيمة أو منكسرة.

أو بصورة حلقات مكررة غير منتظمة، ومن المرجح أنها ترتقي إلى القرن الأول الهجري. وبمرور الوقت تطورت تلك الفواصل، فبدأ الخطاط أن يجعل فراغاً واسعاً بين صورة وأخرى مما سهل على الفنانين الآخرين ملء الفراغات بأشرطة

زخرفية على شكل مستطيلات غير منتظمة، وتشترك هذه المستطيلات بأنها ترتبط جميعها من كلا طرفيه أو أحد أطرافه بعنصر نباتي، وهذه الجداريات ظهرت في جداريات في أواخر القرن الثاني.

ثم بدأ التطور الحنيفي للزخرفة في القرنين الثالث والرابع الهجري، فأتجهت وحدات أخرى تدخل إلى الوسط الزخرفي لتعطي لها رونقاً جمالياً عالياً ومنها شكل الورق العنب ثم الأغصان والسيقان والسلاسل وغيرها حتى وصلت إلى القرن السابع الهجري فما فوق فكانت الزخرفة هي الصفة الرئيسية لتحلية مقدمات المصحف ووسطه وآخره حتى دخل التصوير الزخرفي ليضفي على الزخرفة النباتية صورة رائعة للفن الإسلامي وإبداعاته الرائعة.

العناصر الرئيسية للزخرفة:

للزخرفة عناصر مهمة وكثيرة إلا أننا سنكتفي بالإشارة إلى عنصرين مهمين من عناصر الزخرفة وهما العنصر النباتي والعنصر الهندسي لما لهما من تأثير واهتمام لدى المهتمين في هذا المجال:

أ- العناصر النباتية:

اتخذ الفنان الزخرفي من النباتات عناصر زخرفية يجردها ويبعدها عن صورتها الأصلية، فكانت الأوراق والفروع والأغصان خطوطاً زخرفية منحنية أو ملتفة يتصل بعضها البعض الآخر مكونة أشكالاً لا حدود لها. ولعلها أكثرها حركة تلك هي أغصان العنب والتفافها حول نفسها أو حول النباتات الأخرى، وبدأت مظهر هذه الشكلية في نهايات القرن الثاني وبدايات الثالث في مدينة سامراء ثم انتشرت هذا النوع من الزخارف في مصر وإيران حتى القرون المتأخرة...لذا فقد كانت هذه العناصر تمثلت بورقة العنب بوصفها الطبيعي ثم رسمت وحدات أخرى أكثر تعقيداً من سابقاتها، ثم وحدات أكثر تعقيداً من سابقتها، ثم رسمت المنحنيات التي تمثل الأغصان والسيقان بصورة مختلفة حتى توضع الوحدات السابقة عليها، ثم بدأت هذه الأشكال تأخذ طريقها نحو التعقيد لاختيار ما هو المناسب لملأ الفراغ بالأجسام الزخرفية السابقة.

ب - العناصر الهندسية:

أن الأساس في رسم الزخرفة الهندسية هو المربع والدائرة، إذ لا حدود

تذهيب فهرست المصحف

لها في رسم أشكال عديدة منها للزخارف الهندسية.

وقد استخدم هذا النوع من الزخرفة في المباني الإسلامية من مساجد ومدارس وقباب وقصور وقلاع كما تعددت طرق رسم هذه الأشكال من وقت لآخر، لهذا فقد بدء المختصون في هذا المجال من رسم لهذه العناصر برسم المربع والمثلث والدائرة، ثم خرج منها الخمس والمثمن وغيرها.

ولم يستعمل مثل هذه الأشكال في زخرفة المصحف إلا قليلاً منها إذ كانت تداخلات بين استعمال الزخرفة النباتية داخل الزخرفة الهندسية، وكان النصيب الأكبر لهذه الزخرفة هي الطرر المزخرفة الموجودة داخل المصحف وخاصة في بدايات المصاحف في الصفحات الأولى منه وفي حواشي المصحف على شكل بيضوي أو دائري أو نصف دائري وغيرها.

الزخرفة والتذهيب في أغلفة التجليد:

من الفنون التي أهتم بها المسلمون والتي تقدمت بفضل الحرص على صيانة مخطوطات المصاحف فن تجليد المخطوطات والتي ازدهر على يد المسلمين على وجه الخصوص لعنايتهم بغلاف المصحف الشريف، سواء من حيث الصنعة والزخرفة أو الرسم الكتابي. لذلك عمل المجلدون على زخرفة أغلفة المصاحف بالأشكال النباتية والهندسية والصورية والزهرية البديعة.

لذا فقد مرت زخرفة وتغليف المصاحف بمرحل مختلفة أقدمها التي كانت تستخدم في ألواح الخشب المزخرفة بالتطعيم والعاج، ثم تبعها تغليف المخطوطة بالقماش المطرز أو بصفائح الذهب والفضة.

لذا فقد ظهرت أنماط وعناصر الزينة في أغلفة التجليد تلك على النحو الآتي:

١ـ الشمسة، وتكون على شكل الشمس المشرقة وتكون أشكالها على: المستقيم المدور، ذو أربع شرائح مدور وست شرائح مدور، ذو ثمانية، ذو عشر، ذو اثنتي عشر شريحة فأكثر مدور، ذو ختم سليمان مدور مستقيم ذو ختم سليمان سادة بداخلها ٥ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١٢.

٢ـ الرومي: هذا العنصر استخدم في القديم في كافة الفنون التركية، وقد أطلق عليه رومي لأنه يتعلق بالأناضول، وهو ينبع من رسول الحيوانات في فنون أتراك آسيا الوسطى، وبعد دخول الإسلام عُدلت فيه بحيث قضيت تماماً على الجانب الحيواني، فأصبح نمط الزينة مجرداً.

٣ـ التزيين الهندسي، وكان منشأه

مصحف شريف بخط الثلث

عند الأتراك والسلاجقة والذي يطلق عليه (الارابسك) والذي أشرنا إليه في العناصر الهندسية آنفاً.

٤ـ الزخارف النباتية، ويطلق عليه النمط (الخطائي) وقد اسلفنا عنه آنفاً.

٥ـ الزخارف المتداخلة معقدة الحبك: وهو من تداخل العنصر الهندسي والنباتي بتداخلاتها التعقيدية.

٦ـ الزخارف التصويري، وقد اعتمد هذا الفن القرن في أواخر القرن الثامن الهجري فما فوق.

الطابع الديني في زخرفة وتذهيب المصاحف:

ساد الطابع الديني على منع زخرفة وتذهيب المصاحف في أوائل القرن الأول، إذ أن الصحابة الأوائل كان لهم موقفاً متشدداً وقد يعزى ذلك السبب في ذلك إلى اهتمام المسلمين الأوائل بجوهر الإسلام والميل إلى الزهد والتقشف والابتعاد عن الترف والانصراف نحو الجهاد في سبيل الله ونشر راية الإسلام.

وقد أورد ابن أبي داود أقوالاً لبعض الصحابة من حفاظ القرآن والحديث، من أمثال أبي الدرداء وأبي هريرة وأبي بن كعب وغيرهم، وهي تجمع أن على المسلمين (الدثار) إذا ما زخرفوا مساجدهم وحلّوا مصاحفهم.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام إذ نسأل عز وجل يعشر المصاحف بالذهب، فقال: لا يصلح فقال: أنها معيشتي، فقال: أنك إن تركته لله جعل الله لك مخرجاً.

وقد عرض على الإمام الصادق عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختم معشر بالذهب وكتب في آخر السورة بالذهب فأريته أياه، فلم يعبَ منه شيئاً إلا كتابة القرآن بالذهب فأنه قال: لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد كما كتب أول مرة.

وقد بنى علماؤنا الأعلام على هذا المطلب فقالوا بالكراهة دون التحريم في تذهيب المصحف. وقد أشار الشنقيطي في أضوائه: قيل لأحمد: إن بعض بعض الأمراء ينفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، وكما قال، مع أن مذهبه: أن زخرفة المصاحف مكروهة.

ونقل البهوتي في كشف القناع: قال أبو الحسن بن علي بن محمد الزاغوني: يحرم كتبه بذهب لأنه من زخرفة المصاحف، ونقل عن ابن العربي أنه يحرم، وحكاه القرافي عن الطرطوسي المالكي بالكراهة...والظاهر أن الكراهة أولى في تذهيب كلمات القرآن الكريم وسوره وآياته لا عناوينه ومقدماته ■

---

(١) كتاب المصاحف: لأبي داود السجستاني.
(٢) التذهيب والزخرفة: اسامة النقشبندي/محلة مضاءة الطرف ٩/٤٦٠.
(٣) المخصص: ابن سيدة.
(٤) خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم: محمود عباد الجبوري.
(٥) الاتقان: السيوطي.
(٦) الفهرست: ابن النديم.
(٧) صحيح الأعشى: القلقشندي.
(٨) عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب: التميمي
(٩) تهذيب الأحكام: الطوسي.
(١٠) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي.
(١١) أضواء البيان: الشنقيطي.
(١٢) مداد الذهب. صناعته في العصور: توفيق بروين.
(١٣) الزخرفة في الفنون الإسلامية: خالد حسين.
(١٤) تاريخ فن العمارة العراقية: يوسف شريف.

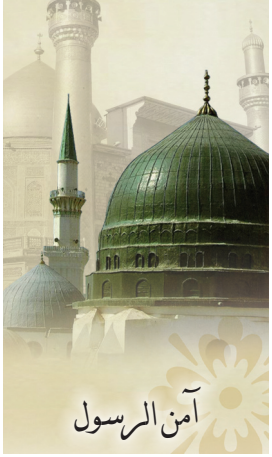

معالم التيار الانقلابي

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المغيرة بن شعبة أنموذجاً

علي الفحام •

ينابيع

لا يختلف اثنان من المنصفين أن أهم الانعطافات التي شهدها التاريخ الإسلامي تتمثل بموجة الانقلاب العقائدي والسياسي للأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أُبعد أهل البيت سلام الله عليهم قسراً عن دورهم الريادي في قيادة الأمة وهداية الناس نحو ما يصلح أمر دنياهم ويرتقي بشؤون حياتهم وما يضمن لهم الفوز وحسن العاقبة في الآخرة.

لقد كشف هذا (الانقلاب) عن تصاعد وخطورة الدور التخريبي الذي لعبه (تيار النفاق) والذي بدأ يتصاعد بشكل ينخر كيان الأمة من الداخل ويهدد بإجهاض الإنجازات النبوية على مدى أكثر من عقدين من الزمن قاسى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته أعباء الدعوة ومحن المواجهة المباشرة مع رؤوس الكفر على كل الجبهات.

وإن إطلالة سريعة على رموز هذا (التيار الانقلابي) ومعالم حركته قبل وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلط الضوء على مدى

بقايا قصر الإمارة الذي بناه سعد بن أبي وقاص عند تمصيره الكوفة ونزله المغيرة حينما أصبح والياً عليها

المظلومية التي لحقت بأهل البيت عليهم السلام ومن ثم بشيعتهم المخلصين الذين لازموهم ملازمة الرضيع لأمه وصمدوا بوجه التهويل وحملات الترهيب والعزل والإقصاء التي مارستها السلطة الحاكمة وولاتها المنتشرون في أصقاع الدولة الإسلامية الفتية.

المغيرة بن شعبة.. تعريف مختصر

يعتبر المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ) من جملة الصحابة الذين يجد الباحث رغبة في دراسة حياتهم لما اشتملت عليه من وقفات مهمة على صعيد الحدث التاريخي والمباحث العقائدية التي تبرز كأحد وجوه الخلاف بين مدرسة التشيع ومدرسة أهل السنة والجماعة، فلقد كان رقماً مهماً في المعادلة السياسية التي فرضها تيار النفاق الانقلابي على الساحة الإسلامية ولاعباً رئيسياً في بلورة المشهد السياسي حتى منتصف القرن الهجري الأول...

عرف (المغيرة بن شعبة) بطلاً لحادثة تاريخية مشهورة لطخت جبين التراث الإسلامي بفضيحة قاسية من الصعب أن يرحض عارها وتستر سوءتها، الأمر الذي سبب حرجاً شديداً لرموز التيار الانقلابي ومن ثم لأتباعهم من أنصار ومنظري فكرة (عدالة الصحابة)، فقد عُثر عليه (وهو الصحابي والوالي على البصرة من قبل عمر بن الخطاب) في حالة ارتكاب لفاحشة الزنا مع امرأة معروفة بالسوء في (البصرة) وقد تضمنت هذه الحادثة الكثير من الوقفات والدلالات والمضامين التي يمكن للباحث أن يقرأ سطورها وبالتالي يستطيع أن ينتصر لأحدى النظريتين: نظرية (عدالة الصحابة) ونظرية (التقييم القرآني لفعل الصحابة)..

والمغيرة بن شعبة من بني ثقيف، فهو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، وأمه امرأة من بني نصر بن معاوية، صحابي أسلم عام الخندق (٦هـ) وهاجر إلى المدينة وشهد الحديبية (٧هـ). وأصيبت عينه يوم اليرموك (١٣هـ)، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ) إمارة البصرة سنة ١٧هـ، ولما شهدوا عليه بالزنا عزله عنها وولاه الكوفة!، وتوفي أميراً عليها من قبل معاوية سنة ٥٠ هـ، وأحصن ٣٠٠ امرأة في الإسلام وقيل بل ١٠٠٠ امرأة!!. (انظر: عبد الله بن سبأ، للسيد مرتضى العسكري ١\١٠١).

الملامح السيكولوجية والفكرية للمغيرة

من المهم جداً أن يقف الباحث وقفة تأمل عند ملامح الشخصية التي ميزت المغيرة بن شعبة سيكولوجياً وفكرياً باعتباره يمثل خلاصة واضحة للمنهج الانقلابي الذي تحكم بمقادير البلاد الإسلامية وبأرواح العباد وأعراضهم ومقدرات الأمة وثرواتها ومن ثم بمستقبلها ومصيرها ودورها في تطور الحضارة الإنسانية بشكل عام.

تميزت شخصية المغيرة بن شعبة بالصفات التالية:

١ـ الغدر

اشتهر المغيرة بن شعبة بالغدر في جاهليته وإسلامه ، فقد روى البخاري (ت٢٥٦هـ) في صحيحه ٣\١٨٠ في حادثة إسلام المغيرة: (وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم واخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلستُ منه في شيء...) وفي سير أعلام النبلاء للذهبي (ت٧٤٨هـ) ٣\٢٥ ورد أن النبي ﷺ قال له: (أما إسلامك فنقبله، ولا آخذ من أموالهم شيئاً، لان هذا غدر، ولا خير في الغدر)..

وقد وثق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠هـ) هذه الصفة المقيتة قائلاً في إحدى خطبه: (وما المغيرة! إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة لمطمئنين إليه من قومه فتك بهم وركبها منهم فهرب فأتى النبي ﷺ كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً) رواه إبراهيم الثقفي (ت٢٨٣هـ) في الغارات ٢\٥١٧...

٢ـ الرشوة

يفتخر المغيرة بن شعبة أنه أول من رشا في الإسلام، (راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) ٦٠\٤٠، الإصابة ٦\١٥٧)، وفي معارف ابن قتيبة الدنيوري (ت٢٧٦هـ) ص ٥٥٨: (وأول من رشا في الإسلام المغيرة بن شعبة، قال: ربما عرق الدرهم في يدي أرفعه لـ(يرفأ) – حاجب عمر - ليسهل إذني على عمر)!

٣ـ صاحب بدعة

يروي لنا التاريخ أن المغيرة هو أولُ من سمى عمر (أمير المؤمنين)!، في محاولة منه لضرب خصوصية هذا اللقب بالإمام علي عليه السلام وانفراده به دون سائر المسلمين، ففي تاريخ البخاري الصغير ١\٧٩: عن ابن شهاب قال: (أول من حيى عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين المغيرةُ

بن شعبة فسكت عمر)...!! وكأنه أعجب بهذه البدعة!

٤ـ الدهاء

في تاريخ ابن عساكر ٦٠\٤٩: الدهاة أربعة: (معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه).. وقال عنه الحافظ الذهبي: (من كبار الصحابة، أولي الشجاعة والمكيدة... وكان داهية، يقال له: مغيرة الرأي).... (سير أعلام النبلاء ٣/٢١-٢٢).

٥ـ التزوير

وهو أحد أساليب الدهاء وموارد المكر التي عرف بها المغيرة، ففي تاريخ بن خياط ص١٥٣: (كانت ولاية الحسن بن علي سبعة أشهر وسبعة أيام. أقر عمال أبيه وافتعل المغيرة بن شعبة عهداً على لسان الحسن، فأقام الحج سنة أربعين...) تنبه لقوله (وافتعل المغيرة بن شعبة عهداً على لسان الحسن) لتعرف تزويره..

٦ـ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشتُهرت عن المغيرة أحاديث ينسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي كذب صريح لأنها تصطدم بثوابت الإسلام وقواعد القرآن الكريم وقد غدت هذه الأحاديث مصدراً للبدع والفتاوى الباطلة في تاريخ الإسلام، فهو من الذين روجوا لفكرة (المسح على الخفين) ومن الذين افتروا على رسول الله أنه كان يبول واقفاً ـ والعياذ بالله ـ.. وهذه نماذج من روايات المغيرة التي روتها كتب القوم:

* مسند أحمد ٤\٢٤٧: عن عروة بن الزبير قال: قال المغيرة بن شعبة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظهور الخفين.

* مسند أحمد ٤\٢٤٦: عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على سباطة بنى فلان فبال قائماً..

وقد تجرأ أحد الرواة النواصب على أن ينسب الرواية الثانية إلى الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ) وهو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف، والرواية في صحيح البخاري ٥\٣٨٢: عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال وهو قائم ثم دعاني بماء فأتيته فتوضأ ومسح على خفيه...).

وأغلب الظن أن هذه الرواية من موضوعات (شقيق بن سلمة) المكنى أبا وائل (وكان عثمانياً يقع في علي عليه السلام ويقال: إنه كان يرى رأي الخوارج ولم يختلف في أنه خرج معهم وأنه عاد إلى علي عليه السلام منيباً مقلعاً) (الغارات للثقفي ٢\٩٤٧) إلا إنه ظل من المنحرفين عن علي عليه السلام...

والذي يظهر أن هناك اتجاهاً داخل خط الصحابة المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام كان مهتماً بنقل وترويج الأكاذيب على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل تشويه السنة وإحياء عادات الجاهلية التي حاربها الإسلام، يروي المحدث السني الكبير جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): (إن البول قياماً صار عادة اعتاد عليها المسلمون من العامة في مدينة هرات إحياءً لهذه السنة المبتدعة، ومن أجل عدم مخالفتهم لما جاء في صحيح البخاري ومسلم، تراهم يستنون بهذه السنة فكانوا

يبولون عن قيام حتى ولو مرة واحدة في كل عام)!! (يروي الحادثة الشيخ محمد صادق النجمي في كتابه (أضواء عن الصحيحين) نقلاً عن شرح سنن النسائي ج١: ١٩)... كل هذا ببركة المغيرة بن شعبة وبعض من كان على شاكلته من المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام...

٧ـ النصب والعداء لأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين)

أحد أهم معالم شخصية المغيرة بن شعبة التي لا تخفى هي حالة الحقد والعداء التاريخي التي كان يعيشها تجاه أهل بيت النبوة وحملة الرسالة ابتداء من فاطمة الزهراء (ت١١هـ) وحتى الإمام الحسن (ت٤٩هـ) عليهم السلام وفي الحقيقة فإن هذه الصفة هي مصدر كل الشرور والانحرافات التي تحكمت بشخصية وعقلية هذا الخبيث!

وقد تواترت الأخبار في قيام المغيرة بن شعبة بتنفيذ أوامر أستاذه معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ) بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولعنه على منابر الكوفة تنفيذاً لسياسة اتبعها البلاط الأموي بزرع روح الكراهية والتوهين في نفوس الجماهير الإسلامية تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يرتدع المغيرة بتحذيرات واعتراضات بعض الصحابة ووجهاء الكوفة وشخصياتها من مغبة الاستمرار بهذه السياسة الحمقاء، ففي ضعفاء العقيلي (ت٣٢٢هـ) ٢\٢٨٦: (لما قدم معاوية الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون علياً)، .. أما الهيثمي (ت٨٠٧هـ) فيروي في مجمع زوائده ٨\٧٦: عن زياد بن علاقة قال: (نال المغيرة بن شعبة من علي فقال له زيد بن أرقم: علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن سب الموتى فلم تسب علياً رحمه الله وقد مات؟!... قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحد أسانيد الطبراني ثقات)... ولم يجد زيد بن أرقم سوى نهي النبي عن سب الموتى مدخلاً لنصح المغيرة وردعه عن هذا الفعل القبيح لأنه ربما لم يجد في عقلية المغيرة أية مجال لنهيه وتذكيره بحرمة عمله هذا (قاتله الله)..

وفي الإطار نفسه يروي ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) في شرح النهج ٤\٧٠: (قال أبو جعفر [الاسكافي] رحمه الله تعالى: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا، يبيع دينه بالقليل النزر منها ويرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، قال يوما في مجلس معاوية: إن عليا لم ينكحه رسول الله ابنته حباً، ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه. قال: وقد صح عندنا أن المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى...).

وفي شرح النهج أيضاً ١٣\٢٢٠: عن عبد الله بن ظالم، قال لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون علياً عليه السلام، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: (إلا ترون إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة)، وعن الحر بن الصباح قال سمعت عبد الرحمن بن الأخنس، يقول: شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام، فنال منه.

وعن رياح بن الحارث، قال: (بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر، وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة، فسب علياً عليه السلام).

وقد حاول المغيرة استمالة كبار شخصيات الشيعة ورموزهم في الكوفة لسب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فخاب مسعاه وذهبت مكائده أدراج الرياح وانكسرت أحلامه على صخرة صمود الممانعة الشيعية الواعدة:

فقد روى الشيخ الأميني (ت١٣٩٢هـ) في موسوعة الغدير ١٠\٢٦٣ نقلاً عن كتاب الأذكياء للجوزي ص ٩٨: (قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلم فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن علياً. فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب. فأخبروه بذلك فقال: أقسم بالله لتقيدنه. فخرج فقال: إن هذا يأبى إلا لعن علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله. فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه)!.

وفي الوقت نفسه أصدر المغيرة تهديداً وتحذيراً لصعصعة، الشخصية الشيعية الصلدة والثاقبة، كي لا يحدث الناس بفضائل علي بن أبي طالب قائلاً له: (إياك أن يبلغني أنك تعيب عثمان وإياك أن يبلغني أنك تظهر شيئاً من فضل علي... فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سراً وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة..) الكامل لابن الأثير ٣\٤٢٩.

وفي شرح النهج ٤\٥٨: (أمر المغيرة بن شعبة - وهو يومئذ أمير الكوفة من

صورة في بدايات القرن الماضي للمدينة المنورة

قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس، فليلعن علياً عليه السلام، فأبى ذلك، فتوعده، فقام فقال: أيها الناس، إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد.)!! وهكذا ظلت الحالة الشيعية في ولاية الكوفة تمثل خط المعارضة الصارم بوجه الطغمة الأموية الحاكمة وتحمل لواء الرفض لسياسات الحكومات الجائرة التي جاهرت بدون خشية أو رهبة بعدائها السافر لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واستمراراً لتلك السياسة فقد كان المغيرة يأمر من تحته من الولاة والأمراء بسب علي بن أبي طالب عليه السلام ففي (الكامل في التاريخ) لابن أثير ٣\٤١٤: (لما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري وبقي عليها إلى أن ولي زياد الكوفة).

ومن مظاهر عدائه لأهل البيت عليهم السلام أنه كان أول من بايع أبا بكر، في السقيفة ففي كتاب سُليم بن قيس (ت٧٢) ١٤٤: (وكان أول من بايعه - أي أبا بكر - المغيرة بن شعبة ثم بشير بن سعيد ثم أبو عبيدة الجراح ثم عمر بن الخطاب ثم سالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل).

لقد لعب المغيرة بن شعبة دوراً محورياً في صياغة أحداث السقيفة وما جرى بعدها من ويلات وظلم وتجاوز واضطهاد ضد أهل البيت عليهم السلام، فقد كان المغيرة ضمن المجموعة العسكرية التي دهمت بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث أورد العياشي (ت٣٢٠هـ) في تفسيره ٢\٦٦: عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه، عن جده قال: (ما أتى على علي عليه السلام يوم قط أعظم من يومين أتياه فأما أول يوم فيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما اليوم الثاني... قال عمر: قوموا بنا إليه فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وقنفذ...) وتشير إحدى الروايات إلى اشتراك المغيرة بعملية ضرب الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام كما يروي الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) في الاحتجاج ١\٤١٤ في محاورة جرت بين الإمام الحسن عليه السلام والمغيرة حيث قال له الحسن عليه السلام: (وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة أنت سيدة نساء أهل الجنة. والله مصيُّرك إلى النار).

ولعل من أوضح مظاهر العداء لأهل البيت والولاء لبني أمية أن المغيرة كان أول من أشار على معاوية باستخلاف ابنه يزيد وزين لمعاوية الأمر حتى أقنعه به قائلاً: (يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء، والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس، وخلفاً منك، ولا تسفك دماء، ولا تكون فتنة. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عمالك، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى. فودعه ورجع إلى أصحابه. فقالوا: مه؟ قال: لقد

وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً...!

(راجع في هذه الحادثة الموثقة تاريخياً: الكامل في التاريخ: ٢ / ٥٠٨ وراجع تاريخ الطبري: ٥ / ٣٠١ والإمامة والسياسة: ١ / ١٨٧ وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٩، تاريخ ابن عساكر ٤٠\٢٩٨).

٨ـ النزعة الجنسية المفرطة

لا يجد الباحث في حياة المغيرة والمتتبع لجزئياتها بداً من الاعتراف بوجود ميل جنسي مفرط نحو الجنس الآخر وانغماس فاحش في الملذات وركوب الشهوات في حلال أو حرام فذلك لا يفرق عند هذا (الصحابي الجليل)!!

ومن المعروف إن الإسلام الحنيف جاء لتهذيب النفوس وتنقيتها من شوائب الانحراف الخلقي ومن عادات الجاهلية الظلماء:

* قال تعالى: (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) (النساء ٢٧) وذم الله تعالى أقواماً قال فيهم: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) (مريم ٥٩).

* وفي المقابل مدح الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز بأنهم طهروا أنفسهم وزكوها من درن الشهوات والمعاصي، يقول عز من قائل: (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها) (الشمس ٧-٩)، وقال في سورة الأعلى (١٤-١٥): (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى).

وفي حين كانت هذه سيرة صحابة رسول الله المخلصين المتقين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا من بعده، كان تيار النفاق المتصاعد بين الصحابة يحاول إحياء سنن الجاهلية المقيتة ونزعة الميل الأعمى للشهوات إرضاء للنفس الأمارة بالسوء ومكيدة بالإسلام وأهله فطفقوا يشقون الطريق بما يحقق لهم هذا الغرض بمساعدة وتواطؤ من السلطة الحاكمة المغتصبة للخلافة!

وكان المغيرة بن شعبة في مقدمة هؤلاء النفر المنهمك لإحياء سنن الجاهلية

فضل أهل البيت عليهم السلام

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله، قال:

«هم عيش العلم وموت الجهل. يخبركم حلمهم عن علمهم. وصمتهم عن حكم منطقهم. لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه. هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام. بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية. فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل».

نهج البلاغة ٢/ ٢٣٢

وإشـاعة المنكرات وفتن الشـهوات بين المجتمع الإسـلامي... عرف المغيرة بن شعبة بالزنا في زمن الجاهلية وظلت هذه الحالة تحكم عقليته وتصرفاته بعد دخوله الظاهري في الإسلام، فقد ورد في شرح النهـج لابن أبـي الحديـد ١٢\٢٢٩: (وقد روى المدائني أن المغيرة كان أزنى الناس في الجاهلية فلما دخل في الإسـلام قيده الإسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة) فإذا علمنا أن الزنا كان متفشياً في الجاهلية فكيف يكون حال أزنى الناس فيها؟ ؟!! وظل المغيرة يمارس هذه العادة الجاهليـة المخزية حتى بعد دخوله الإسـلام من غير خشية ولا رعاية لحرمة بعـد أن وجد الحماية السياسـية الكافية، يقول الإمام الحسـن عليه السلام مخاطباً المغيرة في ما رواه الشـيخ الطبرسي في الاحتجاج ١\٤١٤: (وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا، وتحيي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام، حتى كان ما كان في أمس)!

وحتى فـي أحلك الظروف وأقسـاها لا يخفـي المغيرة شـدة ميله الجنسـي!، فعندما أشـخصه عمـر من البصـرة إلى المدينـة بعد حادثة الزنا المشـهورة لقي امرأة من بني مرة في الطريق فخطبها من أبيها للزواج فقال له أبوها: وأنت على هذه الحال!! فتزوجها المغيرة في منطقة يقال لهـا (الرقم) وهو موضـع بالحجاز قريب من وادي القرى فلما وصل خبره عمر بن الخطـاب عنفه قائلاً: (إنـك لفارغ القلب طويل الشبق)!!.. (تاريخ الطبري ٣\١٦٩، شرح النهج ١٢\٢٣٩).

ولم يحفظ المغيـرة بصره الذي أمره الله تعالـى بغضه وصونه عن الحرام حتى وهو في ساحات القتال جريحاً في أرض المعركة! في تاريخ بن عسـاكر ٦٠\٥٤: عن الشـعبي قال: لما كان يوم القادسـية طعـن المغيرة بن شـعبة فـي بطنه فجيء بامرأة من طيئ تخيط بطنه فجعلت تخيطه فلما نظر إليهـا وهي تخيط قال ألك زوج قالت وما يشـغلك ما أنت فيه من سؤالك إياي..!!

ويعتـرف المغيـرة أنه رجـل مطلاق يكثر من طلاق النساء دون مبرر أو سبب عقلائـي أو شـرعي!! ففي سـير أعلام النبـلاء ٣\٣١: (عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: (لقد تزوجت سبعين امرأة أو أكثر).

وعـن ابن المبـارك قـال: (كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة. قال: فصفهن بيـن يديه وقال: أنتن حسـنات الأخلاق، طويلات الأعنـاق، ولكني رجل مطلاق، فأنتن الطلاق).

وعن ابن وهب: حدثنا مالك قال: (كان المغيـرة نكاحاً للنسـاء، ويقول: صاحب الواحـدة إن مرضت مـرض وإن حاضت حـاض، وصاحـب المرأتين بيـن نارين تشعلان، وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهن جميعاً)!!

وعلـى هذا فليس غريبـاً على صاحب شـخصية تحكمها عادات الجاهلية وسنن الكفر وتعيش بهذه التركيبة السيكولوجية أن يرتكـب جريمـة الزنا خصوصـاً إذا اجتمعـت عنده السـلطة والأمـوال وقلة الـوازع الدينـي وانحـراف عام يعيشـه المجتمع الإسلامي الفتي..

واقعة زنا المغيرة بن شعبة في البصرة

رويت هذه الواقعة على ألسن المحدثين

وأصحاب السير والسنن واشتهرت فلا مجال لإنكار أصلها وإنما خلط الرواة في بعض تفاصيلها واختلفت ألسن المحللين والمفسرين لها ومهما يكن من أمر فقد شكلت حرجاً شديداً لأصحاب نظرية عدالة الصحابة!

طبعاً اخترنا أفضل النصوص وأعلاها سنداً فيما اتفق على روايته كل من الجوهري (ت٣٢٣هـ) في السقيفة وفدك ص ٩٢، وأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) في الأغاني ج ١٤ ص ١٣٩ - ١٤٢ من طبعة ساسي سنة ١٩٥٩ وأخرجه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ / ١٦١:

(كان المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة يختلف سراً إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء ولها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك، فلقيه أبو بكرة يوماً فقال: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان، فأخذ [أبو بكرة] بتلابيبه وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة فقال فبينما أبو بكرة في غرفة له مع أخويه نافع وزياد ورجل آخر يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة جارته تلك محاذية غرفة أبي بكرة فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبو بكرة: هذه بلية قد ابتليتم فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له أبو بكرة: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا، فذهب المغيرة وجاء ليصلي بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة وقال: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت، فقال الناس: دعوه فليصل إنه الأمير واكتبوا إلى عمر فكتبوا إليه... وسار المغيرة، حتى قدم على عمر، فجلس له عمر ودعا به وبالشهود فتقدم أبو بكرة، فقال: أرأيته بين فخذيها؟ قال: نعم والله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها، قال المغيرة: لقد ألطفت النظر، قال أبو بكرة: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به، فقال عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها كما يلج المرود في المكحلة، قال: أشهد نعم ذلك، فقال عمر: اذهب مغيرة ذهب ربعك).

قال أبو الفرج: (ويقال إن علياً هو قائل هذا القول، ثم دعا نافعاً، فقال: علا مَ تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة، فقال عمر: لا، حتى تشهد أنك رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة. قال: نعم حتى بلغ قذذه، فقال: اذهب مغيرة ذهب نصفك ثم دعا الثالث وهو شبل بن معبد، فقال: على مثل شهادة صاحبي فقال: اذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك. قال: فجعل المغيرة يبكي إلى المهاجرين فبكوا معه وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه قال: ولم يكن زياد حضر ذلك المجلس، فأمر عمر أن ينحى الشهود الثلاثة وأن

لا يجالسهم من أهل المدينة أحد وانتظر قدوم زياد...).

إلى هنا القضية واضحة وتسير وفق المعايير الصحيحة وملخصها أن أربعة من المسلمين بينهم صحابيان (أبو بكرة الثقفي الطائفي (ت٥١هـ) ونافع بن الحارث بن كندة الثقفي) وجدوا والي البصرة المغيرة بن شعبة متلبساً بجريمة الزنا مع امرأة ذات بعل فشهد إلى الآن ثلاثة منهم شهادة كاملة صحيحة ووفق الضوابط الشرعية.

ويصور النص الذي أوردناه حال المغيرة بن شعبة الذليل والمنكسر بعد تمام الشهادة الثالثة عليه حيث أخذ (يبكي إلى المهاجرين فبكوا معه وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه)! وربما الهدف هو إعطاء الإشارة لإنقاذه بعد أن ذهب ثلاثة أرباعه!

زياد بن أبيه يقلب المعادلة!

وقد كان زياد (ت٥٣هـ) هو الورقة الرابحة لعمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة لدرء حد الرجم عن والي البصرة المتلبس بالجريمة... لنكمل الرواية ثم نستكمل النقاش..

(فلما قدم [زياد] وجلس في المسجد واجتمع رؤوس المهاجرين والأنصار قال المغيرة: وكنت قد أعددت كلمة أقولها، فلما رأى عمر زيادا مقبلاً قال: إني لأرى رجلا لن يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين.

وفي حديث أبي زيد عمر بن شبه، عن أبي عثمان الهندي، أنه لما شهد الشاهد الأول عند عمر تغير لذلك لون عمر، ثم جاء الثاني فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً، ثم جاء [الثالث] فشهد، فكأن الرماد نثر على وجه عمر فلما جاء زياد، جاء شاب يخطر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه، وقال: ما عندك أنت يا سلح العقاب [فقال المغيرة مستنجداً بعمر]: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قد احتقروا دمي فالله الله في دمي، فتدفقت عينا زياد، واحمر وجهه وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحق ما حق القوم، فليس عندي ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً، وانبهاراً، ورأيته متبطنها، فقال عمر: أرأيته يدخل ويخرج كالميل في المكحلة؟ قال: لا. وروي أنه قال: رأيته رافعاً برجليها، ورأيت (كذا وكذا) مترددتين بين فخذيها، وسمعت حفزاً شديداً، ونفساً عالياً، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فجاء المغيرة إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين).

وهكذا كان عمر بن الخطاب أول من عطل الحدود وجلد الشهود وكانت نتيجة هذا الحدث الدرامي أن انتصر عمر لصاحبه ومستشاره السياسي المغيرة بن شعبة بعد أن أثر على شهادة زياد بن أبيه فخلى سبيل المغيرة وجلد الشهود حد القذف إلا زياداً!!

وحتى لا يبقى المغيرة بن شعبة في البصرة ويستذكر أهلها حادثته المخزية أمر عمر بتوليته إمارة الكوفة!! لا ندري أين عدالة عمر التي يروج لها علماء السنة والجماعة؟!!

وقد ذهبت هذه الواقعة مثلاً حيث (كان الرجل يقول للرجل: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة عزله عن البصرة واستعمله على

الكوفة)!! (تاريخ دمشق ٦٠\٤٠).

ولا يقولنَّ أحد أن عمر لم يثبت عنده زنا المغيرة فهذا هو الشطط بعينه!! روى البلاذري (ت٢٧٩) في فتوح البلدان ٢\٣٤٣: (أن الخليفة عمر ابن الخطاب لما أراد أن يوليه الكوفة - بعد هذه الواقعة - قال له: إن وليتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت به؟ قال: لا).

وأوضح من هذا ما رواه ابن خلكان (ت٦١٠هـ) في وفيات الأعيان ٦\٣٦٦: (ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر: أتعرف هذه المرأة يا مغيرة؟ قال: نعم هذه أم كلثوم بنت علي!! فقال له عمر: أتتجاهل علي؟!! والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء)!! (انظر أيضاً شرح النهج ١٣\٢٣٨ حيث ينقل رواية عن أبي الفرج مسندة إلى الشعبي).

ورواه ابن أبي شيبة (ت٢٣٥) في مصنفه ٧\٢٧١ بسند صحيح رجاله ثقات عند القوم إلا أن متنه مبتور مع الأسف!!: عن أبي الضحى (تابعي ثقة) قال: حدثني من سمع عمر يقول إذا رأى المغيرة بن شعبة: (ويحك يا مغيرة! والله ما رأيتك قط إلا خشيت...).

وواضح أن العبارة مبتورة - بشكل متعمد - وتحتاج إلى تكملة وقد عرفت تكملتها من رواية ابن خلكان وابن أبي الحديد...

علاقة المغيرة مع الصحابة والخلفاء

من المفارقات المثيرة أن المغيرة كان شخصية مبغوضة منبوذة ولا تحظى باحترام الصحابة وأصحاب السلطة من

الخلفاء لخبثه وسوء سريرته وانعدام العفة في تصرفاته وتزعزع ثقة الآخرين به خصوصاً بعد ما اشتهر به من الكذب والغدر مع دمامة في الشكل والهيئة!!

ولكن في الوقت نفسه كان المغيرة مقرباً من بعض الخلفاء لأنهم لمسوا بشخصيته مزيجاً من الدهاء والمكر والتدبير والتملق واستعداداً لبيع الضمير والمبادئ من اجل عرض الحياة الدنيا الزائل وإرضاء لرغبات السلطان!

ولهذا حظي المغيرة بحماية واهتمام من قبل الخليفة أبي بكر بعد دوره المحوري في أحداث السقيفة والحرب التي أعلنتها السلطة الحاكمة على بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وتلقي هذه الرواية التي رواها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩\٣٦١ ضوءاً على (الحصانة السياسية) التي تمتع بها المغيرة في عهد أبي بكر: (عن المغيرة بن شعبة قال: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعرض عليه فرس فقال رجل: احملني على هذا، فقال: لان أحمل عليه غلاماً قد ركب الخيل على غرته أحب إلى من أن أحملك عليه، فغضب الرجل وقال: أنا والله خير منك ومن أبيك فارساً فغضبت حين قال ذلك لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت إليه فأخذت برأسه فسحبته على أنفه فكأنما كان على أنفه عزلاء مزادة (فم مزادة) فأرادت الأنصار أن يستقيدوا منى (أي يقتصوا) فبلغ ذلك أبا بكر فقال: إن أناساً يزعمون أني مقيدهم من المغيرة بن شعبة ولأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون عباد الله!!. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

وقد استمرت السلطة في عهد عمر بن الخطاب بسياسة أبي بكر في تكوين طبقة برجوازية حاكمة متسلطة لا يمكن لأحد أن يحاسبها مهما فعلت أو عثت في الأرض فساداً في حين كانت تمارس الإقصاء والتضييق والنفي وحتى التصفية لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه في مختلف المدائن الإسلامية.

ورغم كل هذا لم يخف الخلفاء وكثير من الصحابة امتعاضهم من المغيرة وتصرفاته وسوء سريرته ولا بأس أن نطلع على بعض من تلك الشواهد التاريخية:

علي بن أبي طالب عليه السلام

١ـ في نهج البلاغة ٤\٩٥: قال علي عليه السلام لعمار بن ياسر (ت٣٧هـ) (وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً): (دعه يا عمار فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته...).

قال الشيخ عبده: أي أوقع نفسه في الشبهة عامدا لتكون الشبهة عذرا له في زلاته...

٢ـ وفي الغارات للثقفي ٢\٥١٧: عن علي عليه السلام: (و ما المغيرة! إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدرها لمطمئنين إليه من قومه فتك بهم وركبها منهم فهرب فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً..).

٣ـ في شرح النهج لابن أبي الحديد ٤\٦٩: (قال أبو جعفر [الاسكافي]: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعنا صريحا على منبر الكوفة، وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة

لأرجمنه بأحجاره...) في إشارة منه عليه السلام إلى أن استحقاق المغيرة هو الرجم بعد ثبوت الزنا بحقه.

الحسن بن علي عليهما السلام

في الاحتجاج للطبرسي ١\٤١٤: (وأما أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيه مكذب وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجمك، ودفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط وذلك لما أعد الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى)..

عمر بن الخطاب

١ـ رفض شهادة المغيرة

في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤\٢٣: عن أبي جعفر محمد بن علي [الباقر]: (أن العباس جاء إلى عمر فقال له: إن النبي صلى الله عليه وسلم أقطعني البحرين قال: من يعلم ذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة، فجاء به فشهد له قال: لم يمض له عمر ذلك كأنه لم يقبل شهادته فأغلظ العباس لعمر فقال عمر: يا عبد الله خذ بيد أبيك...).

٢ـ عزله من البحرين بعد احتجاج أهلها على تأميره.

في سير أعلام النبلاء ٣\٢٦: (أن عمر استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عمر).

٣ـ وصفه للمغيرة بأنه (فارغ القلب طويل الشبق) كما مر ذكره.

الصحابي الشاعر حسان بن ثابت

في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢\٢٢٩ وفي الاستذكار لابن عبد البر ١\١٠١: قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بعد فضيحته المشهورة في البصرة:

لو أن اللؤم ينسب كان عبداً
قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام لما
بدت لك غدوة ذات النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهواً
مع القينات في العمر اللطيف

عبد الرحمن بن عوف

في شرح النهج ٩\٥٣: بعد ذكر بيعة عثمان من قبل اللجنة السداسية للشورى التي عينها عمر، قال المغيرة بن شعبة لعثمان: (أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الرحمن بن عوف: كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا بن الدباغة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن، تقربا إليه وطمعا في الدنيا، فاذهب لا أبا لك!. فقال المغيرة: لولا مكان أمير المؤمنين منك لأسمعتك ما تكره...) انظر أيضاً: السقيفة وفدك للجوهري (ت٣٢٣هـ) ص:٨٧، تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ) ٣\٩٨ وفي لفظه: (فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور لو بايعتُ غيره لبايعته).

وختاماً فقد كانت هذه جولة مع حياة مثيرة للجدل للأحد رموز التيار الانقلابي الذي استلم قيادة الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام ومهد لظلامة ما زالت ولن تزول حتى يورث الله عباده الذي اصطفى مشارق الأرض ومغاربها... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

مكتبة كاشف الغطاء العامّة..

صرح من صروح الثقافة الإسلامية الأصيلة

إن تقطف باقة ورد من حديقة غنّاء وتهديها لمن تحب فمصير تلك الباقة الذبول مهما كان العطر الذي يفوح منها، وإن تسرح النظر في أمواج البحر وهي تتمايل وتتقلب بين الخفّة والشدّة فلابد أن تتعب، أما أن تقف أمام مكتبة عامرة بمئات الكتب المطبوعة وعشرات المخطوطات فهذا ما لا يمكن أن تدعه يذهب دون استثماره في البحث والاطلاع.

استطلاع: حيدر الجد •
تصوير: ضرغام كمونة •

ينابيع للثقافة في النجف الأشرف طعم خاص وذوق مترف، ففيها تتحد المزاجات وتنصهر لتعطي صورة متكاملة المعالم شكّلها الإبداع والتفوق المعرفي.

وكانت الثقافة النجفية تعتمد على أسس حضارية رصينة متمثلة بإرثها المجيد من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات التي وجدت في رحاب علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يزدهر العلم ويثمر مكاناً حفظها أولاً، ثم أخرجها لفضاء المعرفة لتكون النجف بذلك قاعدة إسلامية أصيلة شاركت فعلاً في ترويج العلم وانتشاره.

وكان الهم الأول الشاغل لبال طلبة العلم الذين يتوافدون على معاهد النجف ومدارسها العلمية هو الكتاب وكيفية الحصول عليه سواء كان الكتاب المقرر في المنهج الدراسي الحوزوي أو الكتاب العام الذي يكسب المتعلم ثقافة واسعة ويعمل على توسيع آفاقه العلمية ومداركه ومن ثم نتاجاته.. الأمر الذي جعل رجالاً ممن أدركوا ضرورة توفير الكتب بشتى علومها ومعارفها أن يفكروا في إيجاد مكتبة عامة تفتح أبوابها للطلبة والباحثين ضمن نظام معين غايته الحفاظ على الكتاب والمحافظة على وقت الباحث بالاستفادة القصوى سواء أكان للعلم أو للاطلاع.

وكان الشيخ علي كاشف الغطاء من الذين حملوا هذا الهم فانطلق يجمع ما أمكنه جمعه من البلدان الإسلامية لكي يؤسس نواة مكتبة أصبحت فيما بعد من أهم المكتبات، وبعد أن كانت مكتبة شخصية، تخصه وتخص ولديه الشيخ أحمد والشيخ محمد حسين تطورت لتكون رافداً أصيلاً من روافد الثقافة والعلم ليس لطلبة العلوم الدينية فحسب بل لكل النجفيين أو لنقل لكل باحث أينما كان يسعى للحصول على مخطوطة نادرة

من اليمين: آية الله العظمى الشيخ علي كاشف الغطاء المؤسس الأول للمكتبة، ولده آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين الذي أعطى للمكتبة وجودها الفعلي، آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) الذي سعى بدعم المكتبة وإعمارها

أو مطبوعة مهمة يستند إليها في مصادره البحثية ومراجعه الدراسية.

اليوم وقد مرت على افتتاح المكتبة أكثر من مائة سنة، نراها تعود لترتدي حلة سندسية ولتبدأ من جديد تقدم ما كانت تقدمه للباحثين من خدمات علمية، فبعد سبات وركود بفعل ما مرت به النجف الأشرف عامة ومراكزها الثقافية بشكل خاص أبان الحكم البائد، عاودت المكتبة تمارس نشاطها، فكانت لنا فيها وقفة، أعددنا خلالها استطلاعاً لمجلتنا ينابيع اعترافاً منا بفضل هذا الصرح العلمي الثقافي ورغبة منا في تسليط الضوء عليه عبر تاريخها المجيد وحاضرها الزاهر المبشر بالعمل الجاد خدمة للعلم والعلماء.

لابد لنا أن نبين قبل الخوض في حديث التأسيس لمحات موجزة عن حياة المؤسس فهو الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير الشهير بـ(كاشف الغطاء) المالكي ولد في النجف في حدود ١٢٦٨هـ/١٨٤٩م في بيت اجتمعت فيه الرئاسة والعفة والشرف والدين[1]، وقد تدرج في الدراسة الحوزوية شأنه شأن المجتهدين الذين اتخذوا من الدرس الشاغل الأول وكان ولوعاً بالكتاب حتى أصبح صنوه لا يفارقه أينما حل وفي أي وقت كان، استطاع رحمه الله أن يجمع عدداً لا يستهان به من الكتب المخطوطة والمطبوعة خلال أسفاره ورحلاته.

كانت أول رحلة له سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٦م أي في أواخر منتصف ثلاثينات عمره حيث رحل إلى إيران فأقام في أصفهان مدة وتنقل بينها وبين شيراز وطهران وخراسان واستغرقت

الشيخ محمد الحسين في مكتبته ويحيط به لفيف من المثقفين

جولته سبع سنين حيث عاد إلى العراق سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٣م وقد ألف خلال تلك المدة وأثناء تنقله بين البلدان واتصالاته بالعلماء والأعيان عدة مجاميع شحنها بالفوائد والفرائد من الشعر والنثر[٢].

ركز الذين كتبوا في سيرة الشيخ علي كاشف الغطاء على النقاط الآتية:

١ـ كثرة أسفاره إلى البلدان كمصر والشام ولبنان والحجاز والقسطنطينية (تركيا) والهند.

٢ـ ولعه الشديد باقتناء ونسخ الكتب.

٣ـ علاقته الوطيدة مع ولاة بغداد العثمانيين كـ (سري باشا) واتصاله برجال الدولة العثمانية.

٤ـ إنشاؤه مكتبة فخمة، تعد من أشهر وأقدم مكتبات النجف الأشرف.

٥ـ تأليفه عدة كتب مهمة، أشهرها (الحصون المنيعة في طبقات الشيعة) مستدركاً بذلك على السيد علي خان المدني، الذي كتب (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة).

توفي بالنجف صبيحة يوم الثلاثاء غرة محرم الحرام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ودفن بمقبرة آل كاشف الغطاء[٣].

الطور الأول
(طور التأسيس)

لقد ورث الشيخ علي من أبيه الشيخ محمد رضا وجده الشيخ موسى وجد أبيه عدداً من الكتب التي يمكن عدها نواة المكتبة الفعلية، ثم زادها الشيخ علي أضعافاً حتى وصلت إلى ما جعلها المكتبة الأولى في النجف دون منازع، فقد سبقت مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة ومكتبة الإمام الحكيم قدس سره العامة وغير ذلك من مكتبات النجف العامة، اللهم إلا مكتبة الحسينية الشوشترلية التي تقع في زقاق السلام من محلة

جناح المطبوعات في المكتبة في بنايتها القديمة

العمارة التي كانت من المحلات الأربع لمدينة النجف الأشرف، وقد تم إزالتها من قبل النظام المباد بذريعة توسعة مخارج الحرم العلوي الشريف.

فقد ذكر المؤرخون أن هذه المكتبة أسسها المرحوم الحاج علي محمد النجف آبادي في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة وجهزها بكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة في مجالات الأدب واللغة والتاريخ[٤].

ذكر الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها مكتبة كاشف الغطاء حيث قال عنها: (أشهر مكتبات النجف وأوسعها قامت على مخلفات أشهر مكتبات النجف الكبرى وما تبعثر منها وهي مكتبة ثمينة جمعت قماطيرها ـ القمطر (ما تصان فيه الكتب) ـ أمهات الكتب القديمة ويتيمات المصنفات في سائر العلوم والفنون أكثرها مخطوطة في العصور الخالية وقد طبع بعض مخطوطاتها ولكن النسخ التي فيما لا تزال تحتفظ بقيمتها التاريخية...)[٥]، ولكن عبارة (قامت على مخلفات أشهر مكتبات النجف الكبرى وما تبعثر منها) عبارة غامضة لم يعرفنا الشيخ محبوبة على ما أراده خلالها فجملة مخلفات أشهر المكتبات لا تعطينا صورة واضحة عن التأسيس الحقيقي لأصل المكتبة، بل لم يذكر أشهر المكتبات التي قامت هذه المكتبة على مخلفاتها!.

تقع المكتبة في محلة العمارة التي أصبحت اليوم أثراً بعد عين ولم يبق منها سوى بعض الأزقة إذ أزيلت معالم هذه المحلة ـ التي كانت تزخر بالبيوت العلمية الرفيعة والمساجد والمدارس الدينية التي خرجت العشرات من العلماء ـ أبان فترة الثمانينات من القرن المنصرم.

والظاهر أن المكتبة كانت في بداية

مدرسة كاشف الغطاء (المعتمد) التي أنشأ الشيخ محمد الحسين مبنى المكتبة إلى جنبها
ويظهر في أول اليمين الشيخ جعفر الكرباسي

الأمر تقع في دار الشيخ علي الواقعة ضمن منطقة بيوت أسرة آل كاشف الغطاء ومسجدها ومدرستها ومقبرتها، ثم انتقلت المكتبة أيام ولده الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء إلى محلها اليوم، كما أن هذه المكتبة كانت خاصة وليست عامة ويؤيد هذا القول جعفر الخليلي حيث يقول: (لم تكن يوم تأسست مكتبة عامة، موقوفة للمطالعة كما هي الآن، وإنما كانت مكتبة خاصة يمتلكها الشيخ علي والد المرجعين الشيخ أحمد والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ويرجع تاريخ أول تأسيسها إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، فقد شبت مع الشيخ علي رغبة ملحة في البحث عن الكتب النادرة وجمعها واستنساخها...)[٦] وكان السيد شهاب الدين المرعشي النجفي صاحب المكتبة الشهيرة في قم المقدسة من الذين زاروا المكتبة واستفادوا منها ذكرها قائلاً: (رأيت يوم الجمعة ١٦ صفر ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م بمكتبة المرحوم شيخنا الشيخ علي بن محمد الرضا في الغري الشريف واستفدت منها)[٧]، وقد تحقق المعنى الحقيقي كونها مكتبة عامة في عهد ولده الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

يبدأ التأسيس الفعلي قبل وفاة الشيخ علي سنة ١٩٣١م حيث أوقفها وقفاً عاماً وجعل التولية بيد ولده الشيخ محمد الحسين ومن بعده لأولاده الصلبيين[٨]، مما يعني أن انطلاقها كمكتبة عامة كانت في النصف الثاني من عشرينيات القرن المنصرم تقريباً.

الطور الثاني
(طور الكيان المستقل)

أوجد الشيخ محمد الحسين بعد وفاة والده كياناً مستقلاً للمكتبة، حيث

متولي المكتبة الحالي الشيخ شريف نجل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء
وهو يستعرض بعض الكتب للرواد والزائرين في المبنى القديم

احتلت مكاناً متميزاً، فقد شرع الشيخ محمد الحسين ببناء مدرسة جده الشيخ موسى كاشف الغطاء المعروفة بمدرسة المعتمد آنذاك فقد تهدمت وأصبحت غير مناسبة تماماً للسكن والدرس، فأعاد الغرف من جديد ورمم هيكلها، ثم أنشأ محلاً واسعاً وبناية مرتفعة نقل إليها جميع ما ورثه من الكتب الأثرية وأضاف إليها من المطبوعات النادرة والمؤلفات العصرية وجعلها مكتبة عامة تفتح كل يوم لعموم المطالعين والسواح الأجانب[٩] وعلى هذا الأساس يمكن تعليل اختيار هذا الموقع للمكتبة من قبل الشيخ محمد الحسين، لأن طالب العلم الذي كان يسكن المدرسة هو أشد الناس حاجة للكتاب خصوصاً إذا ما عرفنا أن الكتب كانت قليلة وثمنها باهض لا يستطيع طالب العلم يومها تأمين وجباته الغذائية البسيطة جداً فكيف يؤمن ثمن الكتاب؟!

والترابط الحاصل بين المكتبة والمدرسة يجعلنا نسلط الضوء على المدرسة.

ينقل الشيخ جعفر محبوبة عن هذه المدرسة قائلاً: (إن معتمد الدولة (عباس قلي خان) وزير محمد شاه القاجاري شاه إيران المتوفى سنة ١٢٤٩هـ/١٨٢٩م بعث بأموال كثيرة على يد العلامة الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء ليعمل صندوقاً فضياً على قبر أمير المؤمنين عليه السلام فعمله وزاد من المال شيء فبنا هذه المدرسة على هذه الساحة الموقوفة على الشيخ الكبير والمعروف أن الذي بنا هذه المدرسة هو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر على ما عرفنا وأخذت هذه المدرسة بحظ وافر من العمران وكان زاهية بأهل الفضل حتى أوائل القرن الرابع عشر ثم تهدمت لقلة العناية بها

الأساسات الكونكريتية للبناية الجديدة للمكتبة

وسقطت غرفها وسد بابها وأصبحت غير صالحة للسكن حتى تصدى لها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء)[١٠] كما ذكرنا آنفاً.

أصبحت بعد ترميم الشيخ وأعماره مدرسة ذات جذب لطلبة العلم بسبب التحديث والعمران الذي جرى عليها حيث حوت (٢٦) غرفة عدا غرفة الإدارة والغرفة الكبيرة التي أعدها الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء للمطالعة إضافة لخزانة الكتب. ثم يضيف محبوبة قائلاً: (...كان الإمام محمد الحسين كاشف الغطاء قد اتخذ جانباً من هذه المدرسة ديواناً يجلس فيه للناس صباحاً ومساءً وفي أيام الصيف كان صحن المدرسة يفرش بالسجاد ويجلس الشيخ فيجلس رواد مجلسه وزواره في صف على طول أضلاع الساحة ومن جهاتها الأربع...)[١١].

مكتبة كاشف الغطاء في معرض التقييم

لقد كتب عن هذه المدرسة عدد من الباحثين سيما من كتب مؤرخاً عن النجف بصورة خاصة ومن كتب عن المكتبات العامة بصورة عامة، وكان لكل مؤرخ رأي يقيم فيه المكتبة ويعطي صورة واضحة عنها.

يقول جعفر الخليلي: (...فقد كان للشيخ علي مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة، وضمت مئات

الواجهة الأمامية للمكتبة التي تطل على زقاق ضيّق في محلة العمارة

قبة المكتبة في بنايتها الجديدة من أعلى القباب في المحلة

من الكتب النادرة التي بذل الشيء الكثير للحصول عليها، وكانت تعتبر المكتبة الأولى في الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب وعلى الرغم مما بيع منها بعد وفاته ـ أي وفاة الشيخ علي ـ فهي اليوم لا تزال في عداد المكتبات المهمة وإن كان مجموعها لا يزيد على بضعة آلاف كتاب جمعها بشق الأنفس كما يقولون)[١٢].

أما جرجي زيدان فيقول: (ومكتبة الشيخ علي بن محمد رضا الجعفري كاشف الغطاء مكتبة قديمة حوت أمهات الكتب ويتيمات المصنفات، في نفائس العلوم، والفنون وأكثرها مكتوب في العصور الخالية ومن محتوياتها كتاب (مقاييس اللغة) الذي يطبع اليوم في مصر و(الطراز) للسيد علي خان في اللغة و(المجمل) لابن فارس وغيرها وهي أكبر مكتبة في النجف)[١٣].

في حين يقول عنها الكونت فيليب دي طرازي: (في طليعة مكاتب النجف مكتبة آل كاشف الغطاء ... بلغت خزانة كتب آل كاشف الغطاء نحو الخمسة عشر الف مجلد ولا يقل عدد مخطوطاتها عن الألف وحوت كثيراً من يتيمات الكتب...)[١٤].

كما زارها عدد من الشخصيات المعروفة، فدوّن كل واحد منهم في سجل الزيارات انطباعاته ومنهم الدكتور فيليب حتي المؤرخ اللبناني الشهير الذي قال عنها: (سعدنا بزيارة هذه المكتبة العامرة في غياب صاحبها العلامة ودعونا له بالعمر المديد نفعنا الله بعلمه)، كما زارها الباحث المعروف والمؤرخ المشهور كوركيس عواد فقال: (من بواعث الغبطة أني زرت هذه الخزانة التي حوت ألواناً من المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، عن هذه الخزانة منار للعلم أرجو أن تكون على الدوام مرجعاً للعلماء والباحثين ١٩٥٥/١/٢٢م)، أضف لذلك زيارة السفير الأمريكي برتي بيري لها حيث سجل ما نصه: (لقد زرت المكتبة العامرة العائدة إل سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فوجدتها مليئة بكتبه النفيسة الحديثة والقديمة وإني أهنئه على هذا المجهود ٥ شباط ١٩٥٣م).

الطور الثالث
(طور التحديث والإحياء)

لقد مرت على العراق فترة عصيبة خلال مرحلة الحكم البائد، وكانت

الطابق الأرضي من المكتبة وفيه الاستعلامات وغرفة الإدارة إضافة إلى قاعة للمطالعة ومرقد الشيخ علي كاشف الغطاء

جناح صيانة وتصوير المخطوطات

في الأعلى: جانب من خزانة المخطوطات
إلى اليمين: بعض مقتنيات آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين الشخصية

إلى اليسار: بعض مقتنيات آية الله العظمى الشيخ علي الشخصية

جانب من جناح المطبوعات

جناح المطبوعات في الطابق الرابع

الثقافة الإسلامية وخصوصاً الشيعية منها هدفاً للتغييب والتشتيت، حيث عانت المكتبات والكتب أشد حالات الإبادة ولم يسلم منها إلا ما حفظته الخزانات المنسية والرفوف الخاوية في الدور القديمة أو ما كان ظاهراً للعيان ولكن الله (جل وعلا) أراد له أن يُحفظ رغماً على أعداء الثقافة ورفاق الجهل، وكانت مكتبة كاشف الغطاء من المكتبات التي أراد لها الله (جل وعلا) أن تبقى ليأتي اليوم الذي تعود فيه وتقدم خدماتها للباحثين والقراء، وكان للمتولي عليها الشيخ شريف نجل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الدور الأهم والأكبر في حفظ هذا التراث الإسلامي الخالد فقد أغلق أبواب المكتبة خوفاً عليها من الضياع وكان لقدم بنائها دور آخر في عدم إلفات الأنظار إليها.

اليوم وقد زال النظام تنفست هذه المكتبة الصعداء وبدأت تزيح الغبار عنها ليستنشق الباحثون منها عبير المعرفة ولتوقد فيها شعلة العلم من جديد بعد سنين الظلام، وكانت البادرة السامية من قبل سماحة المرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) هي الأساس في إعادتها إلى سابق مجدها وكأنها تولد من جديد، إيمانا من سماحته في إحياء أمجاد المعالم الثقافية النجفية العريقة التي كانت العامل الأول في تنشيط وتحفيز الحركة العلمية عامة وخدمة طلبة العلم بشكل خاص، فقد أوعز (أطال الله عمره الشريف) ببناء مكتبة حديثة على أرض المكتبة القديمة، بتصاميم جديدة تضفي على المكان جمالية هندسية بأسلوب معماري يوحي بتكامل العناصر الإبداعية تصميماً وبناءً

ولا ننسى دور المهندس الأستاذ حيدر فخري الذي وضع لمسات فنية رائعة.

باشرت الجهة المنفذة بالعمل بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ وانتهت من العمل بتاريخ ١ ذو الحجة ١٤٢٨هـ. وكان الافتتاح الرسمي للمكتبة يوم ١٧ ربيع الأول سنة ١٤٢٩هـ تيمناً بمولد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، الذي صادف أيضاً الافتتاح الأول للمكتبة أيام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

تبلغ المساحة الإجمالية للمكتبة حوالي (١٩٠م٢) بواقع خمسة طوابق، ويبلغ ارتفاعها (١٢،٥م) وتطل بواجهتها الأمامية على زقاق ضيق يفضي إلى شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، وتبعد المكتبة عن الحرم العلوي المطهر حوالي (٢٥٠م) تقريباً، تعلو المكتبة قبة زرقاء بقطر (٢،٥م) تقريباً وبارتفاع (٢،٥م) أيضاً وتعد أعلى قبة زرقاء في تلك المنطقة حيث تحيطها قباب زرقاء أخرى لمدارس ومقابر وجوامع كالمدرسة المهدية وجامع الطوسي وجامع الجواهري ومقبرة الشيخ جعفر كاشف الغطاء جد الأسرة ومقبرة السيد مهدي القزويني.

يبلغ عدد الطوابق ـ كما ذكرنا ـ خمسة طوابق، الطابق الأول السرداب ويحتوي على خزانة المخطوطات وبعض مقتنيات الشيخ علي والشيخ محمد الحسين الشخصية إضافة لقسم الأرشيف الذي يضم خزانة الوثائق والمراسلات وجناح التصوير

نسخة من كتاب مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية للحسن بن محمد الصاغاني

نسخة نادرة من القرآن الكريم مذهبة ومزخرفة

نسخة نادرة من القرآن الكريم مكتوبة على رق غزال

الرقمي وقسم الصيانة والترميم حيث تتم فيه صيانة المخطوطات والمطبوعات التالفة ومعالجتها.

الطابق الثاني يحتوي على مخزن للكتب الحجرية بطبعاتها القديمة النادرة وقاعة للمطالعين.

الطابق الثالث: وهو الطابق الذي يحتل مركز المكتبة ويطل مباشرة ببوابته المشرعة على الخارج ويحتوي على الاستعلامات والإدارة وقاعة مركزية كبيرة للمطالعة إضافة لمرقد الشيخ علي صاحب الحصون المؤسس الأول للمكتبة.

الطابق الرابع يحتوي على مخزن كبير للمطبوعات مع قاعة للمطالعة ومجموعة صحية.

أما الطابق الخامس والأخير فيحتوي أيضاً على خزانة للكتب المطبوعة وقاعة مطالعة يبلغ عدد الكتب المطبوعة حوالي (١٥٠٠٠) كتاب في حين يبلغ عدد الكتب المخطوطة حوالي (٢٠٠٠) مخطوط.

أما نوادر المخطوطات فهي:

١- مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية للحسن بن محمد الصاغاني ، يرجع خطه إلى سنة ٦٩٢هـ.

٢- المعرفة في أصول الحديث للحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، بخط الشيخ محمد السماوي.

٣- سلوة العارفين وأنس المشتاقين لمحمد بن الملك الطبري خط سنة ٤٥٩هـ.

٤- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير كتب بباطن مدينة الموصل سنة ٦٠٥هـ، وعليه إجازة بخط المؤلف، وعشرات المخطوطات من القرن السادس والسابع والثامن والأهم من ذلك هو أن الكثير من المخطوطات بخط مؤلفيها وقد أضاف متولي المكتبة اليوم الوجيه الشيخ شريف نجل الشيخ محمد

الحسين الكثير من المخطوطات النادرة والمطبوعات من كتب ومجلات وجرائد.

أما نوادر المطبوعات فنذكر منها لا على سبيل الحصر:

١ـ القانون لابن سينا يقع في ثلاث مجلدات كبار، طبع في روما سنة ١٥٩٣م.

٢ـ كتاب سيبويه يقع في مجلدين بتحقيق (هرتويغ درنبرغ) سنة ١٨٨١م في مدينة باريس المحروسة.

كما توجد مطبوعات نفيسة أخرى مطبوعة في ليدن ولندن واسلامبول وغيرها من الحواضر ■

كتاب القانون لابن سينا يقع في ثلاث مجلدات كبار، طبع في روما سنة ١٥٩٣م

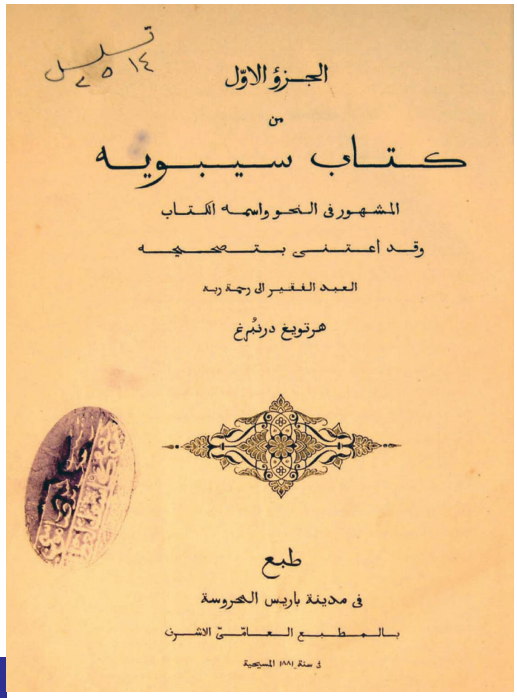

كتاب سيبويه يقع في مجلدين بتحقيق (هرتويغ درنبرغ) سنة ١٨٨١م في مدينة باريس

(١) آغا بزرك، نقباء البشر في تراجم رجال القرن الرابع عشر، ١٤٣٧/٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) حرز الدين، معارف الرجال، ١٣٦/٣.
(٤) محبوبه، ماضي النجف وحاضرها، ١١٧/١.
(٥) ١١١/١-١١٢.
(٦) موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ٢٤٣/٢.
(٧) البيهقي، لباب الأنساب، مقدمة السيد شهاب الدين المرعشي، ص١٦٩.
(٨) كما تصرح بذلك وقفية المكتبة الموجودة لحد الآن.
(٩) حدثنا بذلك الشيخ شريف كاشف الغطاء، متولي المكتبة وأمينها العام.
(١٠) محبوبه، ماضي النجف وحاضرها، ١١٧/١.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ٢٤٣/٢.
(١٣) تاريخ آداب اللغة العربية، ١٢٨/٤.
(١٤) خزائن الكتب العربية في الخافقين، ٣٠٦/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هل يجوز تقديم الطعام للمفطرين في شهر رمضان في المطاعم؟

ج: نعم يجوز إذا لم يكن هتكاً لحرمة الشهر ولا تشجيعاً على الإفطار المحرم.

س: ما حكم التعطر بالعطر في شهر رمضان؟

ج: جائز ولا إشكال فيه، نعم يكره للصائم شمّ النبت طيب الريح.

س: مـا هو حكم نزول دم اللثـة؟ هل يبطل الوضوء والصوم؟ سـواء كان كثيراً أم قليلاً؟

ج: لا يبطل الوضوء بذلك، كما لا يبطل الصوم بمجرد خروج الدم، نعم يحرم ابتلاع الدم، ويبطل الصوم بابتلاعه إذا كان يتعدى الحلق قليلاً أو كثيراً، أما إذا كان قليلاً جداً بحيث يستهلك باللعاب فلا يضر بالصوم.

س: شخص صائم صوماً مستحباً فإذا دعاه أبوه أو أخوه أو أي شخص من البيت إلى الأكل أو الشرب - ويعرفون بأنه صائم - فهل يجوز للصائم تلبية دعواهم؟ علماً أن القصد من الدعوة من قبل الأهل هو ليفطروا الصائم لكي يحصلوا على الأجر والثواب؟

ج: يستحب له الإفطار معهم إذا كانوا قد طلبوا منه أن يفطر معهم، ويحصل بذلك على أجر الصيام وأجر تلبية دعوة المؤمن.

س: هل توجد كراهة في صيام يوم الجمعة؟

ج: لا كراهة في صيام يوم الجمعة، بل يستحب صوم كل جمعة إذا لم يصادف العيدين.

س: ما حكم من أكل ناسياً في صوم التطوّع؟ هل يكمل الصيام أم يفطر في ذلك اليوم؟

ج: يجوز أن يكمل الصيام، ويجوز له الإفطار.

س: شخص يتناول قرصاً واحداً بالنهار لمرض القلب، ويمكنه للصوم أن يتناوله في السحور، فإذا نسيه مرّة، أو نام عنه حتى الصباح، فهل له أخذه في نهار يوم صومه دون حكم الإفطار، لضرورة تناوله، وإلا لم يسلم من مضاعفات المرض؟ وفي حالة جواز التناول للحالة المذكورة، هل عليه القضاء أم الكفارة، أم لا شيء عليه؟

ج: إذا خاف من مضاعفات المرض بدون استعمال الدواء في النهار وجب استعماله، ووجب عليه قضاء ذلك اليوم من دون كفارة.

س: هل يجوز في العطش المُهلك أن يقوم الصائم بأخذ قليل من الماء لسدّ الضمأ، ويبقى ممسكاً إلى وقت الإفطار؟ وما حكم صيامه؟

ج: إذا غلب على الصائم العطش وخاف على نفسه من الصبر عليه جاز أن يشرب

بمقـدار مـا يرفع بـه ضرورته (من دون أن يرتوي)، ولا يفسـد بذلـك صومه، فإن زاد علـى هذا المقـدار عامداً بطل صومه، ووجبت عليه الكفارة، ويجب عليه الإمسـاك عن المفطّـرات في بقية النهـار، مراعاةً لحرمة شـهر رمضان، فإذا تعمّـد الإفطار وترك الإمساك أَثِم.

س: ما حكم من أفطر يوماً من شـهر رمضان عمداً بسبب ظروف عائلية أو دراسية لا بقصد المعصية؟

ج: إذا كان يعلم بوجوب الصوم عليه يجب عليه القضاء والكفارة.

س: إذا فات المكلف صوم شهر رمضان ولعدة سنوات فهل يجب عليه القضاء مع كفارة الإفطار العمدي، علماً بأنه يجهل أحكام القضاء والكفارة؟

ج: إذا كان يعلم بوجوب الصوم عليه ويفطر تساهلاً يجب عليه القضاء والكفارة والفدية من أجل تأخير القضاء.

س: إذا فـات المكلف الصوم المنذور في يوم معين هل يجب عليه قضائه؟ وإذا كان ذلك اليوم مشـروطاً فيه التتابع بعدد الأيام فهل يجب عليه التتابع عند القضاء؟

ج: إذا كان الصوم المنذور فيه التتابع في وقت معين كعشـرة أيام في أول شـهر رجب من سـنة خاصة فالظاهر الاكتفاء بقضاء صوم الذي فاته لا غير، وأما إذا لم يكن في وقت معين - كما لو نذر صوم عشرة أيام متتابعة - فاللازم استئناف جميع الأيام ليتم التتابع فيها، فإذا أفطر في اليوم الخامس مثلاً لم يعتد بالأيام الأربعة التي صامها ووجب عليه اسـتئناف عشرة أيام متتابعة.

س: مؤمن عليه صيام واجب (كفارة أو نذر) وهو لا يسـتطيع أداء ذلك في الصيف لشـدة الحر، فهل يجوز لـه تأجيل الصيام الواجـب عليه إلى حلول فصـل الخريف؟ وهل يجـوز له أن يصوم صيام تطوع قبـل أداء ذلك الصيام الواجب عليه؟

ج: الظاهـر وجـوب أداءه لصوم الكفارة مع عدم الحرج لكن لو لـم يبادر وصام تطوعاً صح صوم التطوع منه.

س: شـخص في ذمته قضاء صوم إلا أنه تسـامح بالقضاء حتى عجز عن

أدائه لمرض بسبب علة مستمرة، في هذه الحالة هل يسقط عنه الصوم أم يجب عليه أن يوصي به؟

ج: يجب عليه الوصية به.

س: إذا ثبت الهلال عند الحاكم الشرعي فهل يجوز للمكلف الإفطار إذا اقتنع بثبوته عند الحاكم الشرعي أو يجب عليه الفحص بنفسه؟

ج: إذا علم بتثبّت الحاكم الشرعي - بحيث لا يثبت عنده الهلال إلا إذا كان موجوداً واقعاً أو تقوم البينة الشرعية عليه - جاز الاعتماد على الثبوت عنده.

س: المفهوم من الرسائل العملية للعلماء (رضوان الله عليهم) أنه لا يجوز الاعتماد على أجهزة الرصد الفلكي في ثبوت هلال شهر رمضان، فهل ينطبق هذا الأمر على بقية شهور السنة القمرية لاسيما شهر ذي الحجة؟

ج: نعم ينطبق ذلك على جميع الشهور، فلا يصح الاعتماد فيها على ما لا يوجب العلم بظهور الهلال إلا البينة.

س: هل يستطيع مكلف أن يوكل من يخرج عنه زكاة الفطرة في بلد آخر بسبب انخفاض سعر الحنطة في البلد الثاني وغلائها في بلده الذي يسكنه؟ مع قدرته على الدفع.

ج: نعم يستطيع ذلك.

س: ورد في المنهاج لسماحتكم مسألة (١١٤) في زكاة الفطرة: (إذا عزلها لم يجز له تبديلها بغيرها...)، فإذا كان قد عزلها من النقود الورقية أو المعدنية المتداولة في زماننا هل يشملها الحكم المذكور ولا يجوز تبديلها بغيرها وبما يساويها أو يزيد عليها من النقود؟ أم لا؟

ج: نعم يشملها الحكم المذكور.

س: هل يجوز للوكيل التصرف بزكاة الفطرة إلى مستحقيها بدون أخذ الإذن الشرعي؟

ج: مع الدفع إلى المستحق لا حاجة إلى إذن الحاكم الشرعي ■

لمحات فنية

من وصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمن استعمله على الصدقات

د. عبد الإله العرداوي ●
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

الوصايا من المظاهر المعروفة في العصر الجاهلي، وكانت تجري في نطاق محدود، وفي المجال الأسري غالباً، كأن يوصي الأب ابنه أو أبناءه والأم ابنتها... وما إلى ذلك، وهي ما دامت أسرية فإنها غالباً ما تحمل طابع النصح والإرشاد بفضل فارق الخبرة التي يتمتع بها الآباء والأمهات، وما يلزمهم به موقعهم في الأسرة من ضرورة توجيه النصح إلى أبنائهم تجنباً لمزالق الحياة الكثيرة، لكن الإسلام الذي قلب أغلب مواصفات الحياة السائدة قلب معه بشكل جذري طابع الوصية المحدود بحدود الأسرة وحدها ليفتح أمام هذا الفن آفاقاً واسعة، إذ صارت تجري على ألسنة كبار القوم وفي مقدمتهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فخرجت الوصية من مجالها الضيق المحدود لترد مجالات الحياة المصيرية، ولاسيما أنها صارت توجه إلى قادة الجند وأمرائهم المتوجهين إلى فتح البلدان حتى صارت من تقاليد الحياة أن يوجه صاحب الأمر من يخوله بمهمة أو واجب معين في كيفية تنفيذ هذا الواجب، وما هي الأصول والشروط التي يجب عليه

منبر مسجد الكوفة.. وإلى اليسار محراب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أتباعها، وهي من سنة الإسلام، وصميم تشريعه، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تنوعت الوصايا بحسب المضامين والمواقف التي تستدعيها وظهرت لدينا وصايا الحرب وهي التي يوجهها الخليفة إلى القائد وجنده الذين اختارهم لأداء مهمة ما، أو في التوجه إلى الفتوح في غير بلاد العرب، وهي وصايا غالباً ما تتعلق بطبيعة التعرف الذي يفترض في القائد القيام به، وهو يواجه عدوه، أي أن الوصية صارت تشمل على جملة من التعليمات والتحذيرات التي تصدرها القيادة العليا إلى من في عهدتها من القادة والآمرين، وهي بهذا ستكون من حيث البناء الفني، جملاً طويلة مرسلة تبتعد عن الظواهر المتكلفة من الصنعة وتنفذ إلى هدفها مباشرة لأنها تركز على الدقة والوضوح في معانيها، وقد ظهر فيها أثر الإسلام واضحاً فهي تجسد مبادئ الإسلام وقيمه وتستمد عناصره منه.

وقد كانت الوصايا مجالا للخصائص الفردية التي تتنوع بحسب الموصين أنفسهم، وخير مثال على تلك الخصائص الفردية، هذه الوصية التي أوصى لها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمن استعمله على الصدقات التي سنحاول في الصفحات القادمة أن نبرز أهم الملامح الفنية فيها.

النص:

(انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعنّ مسلماً، ولا يجتازَنّ عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخرج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده،

أو تعسفه، أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو أبل، فلا تدخلها إلا بأذنه فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول فتسلط عليه، ولا تعنف به، ولا تنفرن بهيمة، ولا تفزعنها، ولا تسؤن صاحبها فيها، وأصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار، فلا تعرضن لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فاقبض حق الله منه، فإذا استقالك فأقله، ثم أخلطهما ثم أصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله، ولا تأخذن عوداً ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولاذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين، حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً، وأمينا حفيظاً غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب، ثم أضرر إلينا ما اجتمع عندك نصيرها حيث أمر الله به، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها، ولا يجهدنها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفه على اللاغب وليستأذن بالنقيب والضالع وليوردها ما تمرّ به من القدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاق والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن ذلك أعظم لأجرك، وأقرب لرشدك أن شاء الله...)[1].

التحليل:

إن أول ما يلاحظ على الوصية هو تحرك فعل الأمر بشكل ملفت للنظر مع (لا) الناهية المقرونة بفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة، وهذه الحركية في النص تسمح له بآلية اشتغال قوامها مقاربة فعلية سلوكية تقوم على مجموعة من الأوامر والنواهي لتكون بمثابة الضوابط التي تنظم عمل المكلف بجمع الصدقات، كما يلحظ التركيز على نون التوكيد الثقيلة من دون الخفيفة بما لا يفسح مجالاً للتهاون أو الخنوع في تنفيذ الأوامر والنواهي، فمن الأوامر قوله (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له)[2] وقوله: (فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار)[3] وأمثلة هذه الأوامر كثيرة في الوصية، وكلها تدل على أسلوب أمر بصيغة فعل الأمر، يقتضي فيه طلب فعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

أما النواهي فتجدها في قوله مثلاً: (ولا تروعن مسلماً، ولا يجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله)[4] وقوله (ولا تنفرن بهيمة ولا تخرعنها ولا تسؤن صاحبها فيها)[5] وغيرها من النواهي التي تقتضي طلب الكف عن فعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

كما نلحظ تحرك (لا) الناهية الجازمة مع الفعل المضارع من دون اتصاله بنون التوكيد الثقيلة كما فعل قوله: (ولا توكل بها

إلا ناصحاً شفيقاً)[٦] وقوله (ولا يعصر لبنها فيضر ذلك وليدها)[٧] وغيرها من الأمثلة.

كما يشتغل النص على أسلوب الشرط وبصورة جاذبة بما يوحيه من إلزام واشتراط لا يسمح بتجاوزها وعدم الامتثال إليها، كقوله (فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه)[٨] وقوله: (فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم)[٩] وغيرها أمثلة كثيرة في الوصية ويشيع في النص كثرة استعمال أدوات العطف كأدوات للتحديد و التتابع بما يوحي بتحديد الأفعال وتناسقها وتتابعها سلوكياً ونفسياً، كقوله: (فان كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فأن أكثرها له)[١٠] (فإن استقالك فأقله، ثم أخلطهما ثم أصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله من ماله)[١١] وغيرها من النماذج الكثيرة في الوصية.

وجمل الوصية في عمومها مرسلة ليس فيها آثار ظاهرة للصنعة، وإنما هي تجري مجرى النثر المرسل، الدقيق في معانيه، الواضح في أغراضه ومراميه، لكي يبين للفهم ويرتفع معه العذر.

وقد اختفت من النص مظاهر النثر الجاهلي التي كانت سائدة، ولاسيما السجع، لكنه لم يخلو نهائياً، وإنما يجئ عفواً لا اعتماداً، كقوله (غير معنف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب)[١٢] وقوله: (فإن ذلك أعظم لأجرك، واقرب لرشدك، إن شاء الله)[١٣].

ومن كل ذلك، نرى الوصية صارت قانوناً ودستور عمل لا ينبغي لمن توجه إليه أن يحيد عنها، ولا أن يخالفها إلى غيرها، لأنها تصدر عن آمر وجبت طاعته، وهو في النص يرسم طريقة التعامل: (فإذا قدمت إلى الحي فانزل بمائهم...)[١٤] وهي في شكلها الخارجي تمتاز بجمالها وتناسب جملها وأساليبها، وما يشيع فيها من حكمة ونفاذ فكر وبعد نظر، لأنه لا تصدر إلا من حكيم مجرب عرك الحياة وعركته ■

---

(١) شرح النهج: ٣/٢٣-٢٦.

(٢-١٤) راجع الوصية.

التحذير من الدنيا

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في التحذير من الدنيا، قال:

«وأحذركم الدنيا فإنّها منزل قلعة، وليست بدار نجعة. قد تزيّنت بغرورها، وغرّت بزينتها. دار هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها. لم يصفها الله تعالى لأوليائه، ولم يضن بها على أعدائه. خيرها زهيد، وشرها عتيد. وجمعها ينفد، وملكها يسلب، وعامرها يخرب. فما خير دار تنقض نقض البناء، وعمر يفنى فناء الزاد، ومدّة تنقطع انقطاع السير. اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم، واسألوه من أداء حقه ما سألكم. وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم...».

نهج البلاغة ١/ ٢٢٢

قصيدة:

جرعة من حوض الولاء

الشيخ محمد جابر الجاسم •
أستاذ في الحوزة العلمية

قسراً عليها تهطل الأدمع ... تلك المغاني والبلى مسرع
أقول والعين بها تدمع ... لأم عمرو باللوى مربع
طامسة أعلامه بلقع

يبكي لها الدهر على جرمه ... وتسكب العبرة عن رغمه
لم أستطع أندبه باسمه ... لما وقفت العيس في رسمه
والعين من عرفانه تدمع

سقيا لدهر كان من دأبه ... يعدي على قربي من قربه
فلا تلوموني على حبه ... ذكرت من قد كنت ألهو به
فبت والقلب شج مولع

أستعجل الصبح لما لفني ... في الليل مما في الجوى دعني
وهبته أحشاي ما ملني ... كأن بالنار لما شفني
من حب أروى كبد تلذع

ياشوق كفكف من عنان المدى ... فكم يد تمن عند الصدا
من بعدما أضحى الردى موردا ... عجبت من قوم أتوا أحمدا
بخطة ليس لها موضع

قد أظهروا هديهم ديدنا ... وأضمروا البغي له والخنا
وأوكلوه منهم للعنا ... قالوا له لو شئت أعلمتنا
إلى من الغاية والمفزع

في حربنا إن كان أو سلمنا ... في حكمه بالعدل في أمرنا
في كل ما يصلح من شأننا ... إذا توفيت وفار قتنا
وفيهم في الملك من يطمع

فأظهر المكنون والمودعا ... من ربه أكرم به مودعا
فاستعصم الرحمن واسترجعا ... فقال لو أعلمتكم مفزعا
ماذا عسيتم فيه أن تصنعوا

صنيع قوم قبلكم نافقوا ... وجانبوا الحق وما وافقوا
بل نبذو الهدي الذي رافقوا ... صنيع أهل العجل إذ فارقوا
هارون فالترك له أوسع

أبدى لهم من عنده ما كمن ... لتركبوها سنناً عن سنن
فما عدا الحق وسر العلن ... وفي الذي قال بيان لمن
كانت له إذن بها يسمع

لولاه ما حفت بهم رحمة ... وما أميطت عنهم غمة
كم طمعت في حقه أمة ... ثم أتته بعد ذا عزمة
من ربه ليس لها مدفع

أمر من الله على من طغى ... ورام أن الحق لا يبتغى
فقال في صاحب يوم الوغى ... أبلغ وإلا لم تكن مبلغا
والله منهم عاصم يمنع

امض لما قلت ولا تنبذ ... مني أمراً شئته واحتذ
وسوف أكفيك الغشوم البذي ... فقام في الناس النبي الذي
كان بما قيل له يصنع

فعرف الناس بما وصفه ... وكر بالطرف على إلفه
أعني عليّ الخير في لطفه ... وقال مأموراً وفي كفه
كف علي لهم تلمع

ألم أكن فيكم ولم أغتذ ... قالوا بلى يا خير مستنقذ
قال لهم كفاي هذي وذي ... يرفعها أكرم بكف الذي
يرفع والكف التي ترفع

نفسان في نفس وما إن له ... فيكم شبيه قد حكا حاله
ما كذب الأفعال أقواله ... من كنت مولاه فهذا له
مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

يا أيها الناس اسمعوا واعلموا ... هذا علي في الندى أكرم
لكنهم في أمره قد عموا ... واتهموه وانحنت منهم
على خلاف الصادق الأضلع

قالوا لقد شف به أصله ... فلم يطق بعدئذ حمله
كأنهم ساءهم فعله ... وضل قوم غاظهم قوله
كأنما آنافهم تجدع

أغـواهـم مـا كـان أغـواهـم ... فـي يـوم خـم حـين نـاداهـم
فبخبخوا غـداة أوصـاهـم ... وأزمـعـوا غـدراً لمولاهم
تـبـاً لـمـا كـانـوا بـه أزمـعـوا

قد أغرقوا نزعاً إلى جحده ... وأرجفوا بالقول في عهده
وأضمروا الغدرة من بعده ... حتى إذا واروه في لحده
وانـصـرفـوا عـن قـبـره ضـيـعـوا

وصـيـة كـانـت لأحـبـابـه ... لاسيما ما كان في بابه
يـوم تناسى بعض أصحابه ... مـا قـال بـالأمـس وأوصـى به
واشـتـروا الـضـر بـمـا يـنـفـع

لـقـد أطـالـوا فـيـهـم سهده ... في قبره واستعذبوا وجده
تباً لهم لم يحفظوا عهده ... وقـطـعـوا أرحـامـه بـعـده
فـسـوف يـجـزون بـمـا قـطـعـوا

أغـيـضـه يـبـغـون مـن فيضه ... وبعضه يبكي على بعضه
فهل هـم نـاجـون مـن بغضه ... لاهـم عليه واردوا حوضه
ولا هـم فـيـمـن لـه يـشـفـع

لهم غـداة الحشر بين الملا ... فضيحة لـمـن غـلا أو قلى
والـواردون الحوض أهل الولا ... حـوض له ما بين بصرى إلى
صـنـعـاء يـوم الـجـمـع بـل أوسـع

والـنـار تحمى مـوقـداً موقدا ... تحوطهم في الحشر حوط المدى
فحيثما تشوى وجـوه العدى ... يـنـصـب فـيـه عـلـم للهدى
والـحـوض مـن مـاء لـه مـترع

لـه مـن الأنـبـاء مـا يـذكـر ... وخـيـر مـا يـؤثـر إذ يـؤثـر
لـه شـراب طـاهـر أطـهـر ... يـفـيـض مـن رحـمـتـه كـوثـر
أبـيـض كـالـفـضـة أو أنـصـع

حـصـبـاؤه الـدر ونـجـم أضا ... أدنـى الرضا منه إلينا الرضا
يـوردنـا العذب به المرتضى ... حصباه ياقوت كجمر الغضا
ولـؤلـؤ لـم تـجـنـه إصـبـع

من تحت عـرش الله كاساته ... تـتـرع لا تـنـفـد لـذاتـه
تـذهـب بـالألـبـاب غـايـاتـه ... بـطـحـاؤه مـسـك وحـافـاتـه
يـهـتـز فـيـهـا مـونـق مـونـع

لـه لـبـاب خـيـره وافـر ... مـجـود مـن ربـه فـاخـر
كـأنـمـا بـاكـره مـاطـر ... أخضر ما دون الجنى ناضر
وفـاقـع أصـفـر مـا يـطـلـع

أولاه مـا أولاه صناعه ... ولـم تـكـن تـرزا بـه قاعه
شـذاه لـم تـقـصـر بـه باعه ... والـعـطـر والـريـحـان أنـواعـه
تـسـطـع إن هـبـت لـه زعـزع

أذيالها في الحشر مجرورة ... أمـا على المولى فمبرورة
أو الأعـادي فهي مجمورة ... ريـح مـن الـجـنـة مـأمـورة
دائـمـة لـيـس لـهـا مـنـزع

تصفق الأمـواه فـي سوحه ... لم تأتلي بالفضل في لوحه
وتجلب النفحة في روحه ... إذا مـرتـه فـاح مـن ريحه
أذكـى مـن الـمـسـك إذا يسطع

من قد هداه الله عرفانه ... الحور والولدان ندمائه
وفي غد الحوض عنوانه ... فيه أباريق وقدحانه
يذب عنها الرجل الأصلع

نحن فما للقوم من صاحب ... كلا ولا الشارب بالشارب
تلك التي تأخذ بالراغب ... يذب عنها ابن أبي طالب
ذبك جربى إبل تشرع

يا ويلهم في النار إذ كُبكبوا ... ماذا يلاقون بما كذبوا
فهل لهم في حوضه مطلب؟ ... إذا دنوا منه لكي يشربوا
قيل لهم تباً لكم فارجعوا

قد هيأ الله لهم هبهبا ... تأخذ منهم أجرباً أجربا
يقال إذ راموا له مطلباً ... وراءكم فالتمسوا مشربا
يرويكم أو مطعماً يشبع

ما منكم يشرب من فيضه ... لا غمره كلا ولا برضه
فإن تك الخيبة في بغضه ... فالفوز للشارب من حوضه
والويل والخزي لمن يمنع

أكرم بذاك الورد من مورد ... مع النبي المصطفى في غد
يشرب منه كل ظام صدي ... هذا لمن والى بني أحمد
ولم يكن غيرهم يتبع

فغيرهم لم تك غاياتهم ... إلا إلى النار وهاماتهم
منكوسة والخزي عاداتهم ... والناس يوم الحشر راياتهم
خمس فمنها هالك أربع

قصة قصيرة:

غداً يكتمل القمر

بنت العراق •

ينابيع

عجباً للدنيا كيف تنتقل من حال إلى حال.. وكيف دارت بي يوم كنت صغيرة العائلة المدللة ويوم أصبحت أحمل هموم ومسؤوليات لا قبل لي بها.. كانت أسرتنا الصغيرة تتألف من والدتي وأخ وأخت وأنا.. أسرة معروفة في بغداد وحال ميسورة جداً.. كان عمري ١٦ عاماً يوم ارتبطت أختي بدكتور جامعي في الكيمياء وهو الذي أشرف على رسالتها بالماجستير ورزقا بطفل جميل أسمياه (أحمد).. وكم حزنت لفراقهما فقد كانت مقربة مني جداً.

كان زوجها الدكتور (هيثم) باحثاً بارزاً في مجال عمله لهذا نال حصته من التهديد ومحاولة التهجير.. ولنفس السبب سافر أهله إلى خارج الوطن.. خوفاً من يد الإرهاب أن تطالهم إلا أن الدكتور رفض السفر ولم يعبأ بالتهديد. لهذا دعوناهم للسكن معنا فحلوا ضيوفاً رائعين وملأ (أحمد) البيت علينا، وعادت أختي تملأ حياتنا بمرحها وحنانها.. أعجبني موقف الدكتور وكنت أحلم أن أصبح دكتورة مشهورة يوماً ما.. وأتحدى من يهددني بالقتل ولا أبالي.. ولكنها كانت أحلام بطولية لفتاة مراهقة لا غير!!.

فقد تحول حلمي إلى كابوس عندما وقع المحذور واغتيلت أختي وزوجها بطريقة مؤلمة وبشعة.. تم تفجير سيارتهما الخاصة بعد مغادرتهما الجامعة.. وتحولا إلى أشلاء.. كانت صدمة شديدة.. حتى أني بقيت أياماً لا أعي ما جرى.. ولا أستطيع تصديقه أو فهمه.. والأيام تمضي ببطء شديد وعلمت أنها لا تتوقف لأجل حزني وبقيت منطوية على نفسي حتى سمعت عَرَضاً نقاشاً حول كيفية إيصال (أحمد) إلى أهل الدكتور (هيثم) كان الكلام بين أبي وأخي.. فقاطعتهم وأنا أصرخ وأبكي وألطم.. كان تصرفي أقرب إلى الجنون كنت أريد (أحمد) أن يبقى معي.. ولا أعرف ما الذي جعلهم يرضخون لقراري أكان ذلك مراعاة لمشاعري حقاً؟! أم أن في داخلهم نفس الرغبة وإن لم يفصحوا عنها.

وبقي أحمد عندنا (فلم يكن أهل الدكتور ليرغبوا بطفل لم يكمل العام.. ولكن طبعاً لم يرفضوا استقباله فبقي عندنا بطيب خاطر) تدهورت صحة أمي إثر الصدمة.. ولم تمر سوى بضعة أشهر حتى غادرتنا أمي مخلفة البيت موحشاً مهجوراً من المحبة والحنان ومن أي روح تدب فيه. واختلف الحال.. صفعة

تلو صفعة توالت على رأسي.. ولم يعد (أحمد) ذلك الطفل المرتب الـذي ألعب معه وأناغيه. أصبح عليّ أن أطعمـه وأنظفه وأعد له زجاجة الحليب وأسـهر معه إذا بكى أو مرض ثم عليّ أن أعتني بوالدي وألبي متطلبات أخي.

وأصبحت الحياة صعبة بل صعبة جداً.. فأنى لفتـاة مدللة من مسـؤولية بيـت بأكمله وكيف لهـا أن تكون أمّاً بـلا مقدمات لكن الأمر لابد منـه.. كان أحمد ينام معـي أحبني وتعلق بي.. ورحت أحكي له الحكايات، وأتممت دراستي الإعداديـة وحصلـت علـى معـدل لا بأس به بالنسـبة لظروفي ودخلت كلية التربية.. وضاع حلمـي في دخـول كلية الطب.. لكـن (أحمد) يسـتحق التضحية فهو ما يملأ عليّ حياتي بعد أمي وأختي.

وذات يـوم جاءني من خارج المنزل حيث يلعب مع أقرانه. سـألني بـكل براءة أماه.. أين أبي؟ كل الأطفال لديهم آباء.. دهشت لسؤاله.. تركتـه وهرولت إلـى غرفتي وبكيـت.. وفي المسـاء وقبل النوم ونحن على سـطح الدار.. قلـت له: انظر يا أحمد إلـى القمر إنه صغير.. عندمـا يكتمـل ويكون بـدراً سـيأتي والدك ونذهب معه.

كانت هـذه العبـارة لا تفارقه كلما سـأله أحد عن أبيه كان يجيب (عندما يكتمل القمر). ومرت الأيام وتوالت الشـهور.. ودخل أحمد المدرسـة.. وأنهيـت دراسـتي وتـزوج أخي وأصبح لديه أطفال.. وصار (أحمد) مسؤوليتي وحدي إلا أني لم أحض بفرصة للزواج.. فكلما تقدم لخطبتي رجل ما أن يسمع بقصة (أحمد) حتى يغادر من غيـر رجعة، بدأ أخي يلحّ عليّ بشـدة محتجاً بأنه لا يمكن أن أبقى على حالي هذا كما أنه لا يستطيع تحمل تكاليف أسرتين.

وفـي يـوم جـاء أخي برجـل إلـى البيت وأخبرنـي أنه يريد التقدم لخطبتي فرحت في سـري.. إلا أني سألته بسـرعة هل أخبرته عن (أحمد) هل علم أنـي أصحبه معي؟ فقال: نعم لا عليك أعددت كل شيء.

ووافقت ومرت الأيام.. شـعرت أن الدنيا تبتسـم لي.. وأن الآتي من الأيام سـيعوض ما فـات.. إلا أنه قبل زواجي بيـوم أخبرني أخي أن أهـل الدكتـور هيثم سـيأتون مـن خارج القطر غـداً ليأخذوا (أحمد) فهـو ابنهم وهم أحق به.. ذهلت للحظات.. (لقد أعد كل شيء) دون علمـي.. وجمدت الدموع في عيني فقال: أنـا أعمل من أجل مسـتقبلك وراحة الجميع.. يمكنـه أن يحيا هناك بشـكل أفضـل، لم أعد أسـمع ما يقول.. شـعرت بالضعف والضياع.. وبكيت، وبكيت.. مشـاعري مزيج من الأسى والذل والألم كنت معتكفـة في غرفتي عندما دخل (أحمد) مسـحت دموعي.. وضممته إلى صـدري.. قال: مـا بك يـا أماه.. لـم تبكين؟ أنهرمت دموعي وقلت: لا شـيء يا صغيري.. إنها دموع الفرح.. فغداً سيكتمل القمر ■

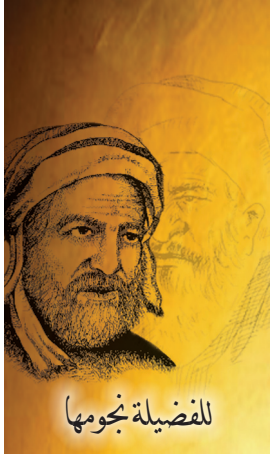

الشيخ أبو علي الطوسي

ودوره الريادي في الحركة العلمية في النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠هـ

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع

لقد شهدت مدينة النجف وخلال القرون الأولى من نشأتها وصيرورتها كمدينة تحمل في خواصها وطابعها وقوامها مزايا المدينة التي نمت وازدهرت بفعل عوامل متعددة، فكما كان العامل الديني أحد العوامل الرئيسة التي ساعدت على ظهور ونشوء مدينة النجف، كان للعامل العلمي أثر واضح في ارتقاء هذه المدينة ووقوفها إلى مصاف المدن الإسلامية. وقد سار هذا العامل جنباً بجنب مع العامل الديني، فكان للعامل العلمي دور لا يقل عن غيره في تهيئة دوافع الاستقرار والتوطن[1]، وذلك من أجل العلم والتلمذة على منبر النجف.

فيذكر الدكتور المظفر: (إذ إن العامل الديني والثقافي المتصل بالدين، لعب دوراً في إيصال النجف إلى المرتبة الحجمية التي هي عليها الآن، سواء أكان ذلك عن طريق النمو الطبيعي، أو الهجرة التي هي حصيلة عوامل دفع اقتصادية،

واجتماعية، وعوامل جذب دينية، وثقافية، واجتماعية متداخلة)[٢]، ويبدو من خلال هذا الرأي المتقدم ما للعاملين الديني والفكري اللذين كانا وما زالا من المقومات الأساسية التي جذبت الكثيرين للعيش في مدينة النجف والهجرة للنجف بالأمس هي أنفع منها اليوم.

ومدرسة النجف إنما ازدهرت فيها حلقات الدرس والتدريس بفضل شخصية الشيخ الطوسي العلمية، حيث عد انتقاله من بغداد إلى النجف منعطفاً كبيراً في تاريخ الحركة العلمية[٣].

وقد أشار عدد غير قليل من المؤرخين إلى وجود حركة علمية في مدينة النجف قبل نزول الشيخ حيث أولوا عناية خاصة بدراسة المرحلة التي سبقت عصر الشيخ الطوسي ويذكر الدكتور مصطفى جواد: (وفي التحقيق أنه قد احتوى التاريخ على علماء من الشيعة بثوا العلم في الغري قبل العلامة الفقيه الطوسي)[٤]، في حين يذكر بحر العلوم: (إن النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي في سنة ٤٤٩هـ، كانت فيها جذور علمية، وتضم بعض رجالات الفضل والعلم، واتخذوا من النجف الأشرف بعد ظهور القبر فيه مقراً لهم)[٥].

لقد استمرت مدرسة النجف بالعطاء العلمي بعد وفاة الشيخ الطوسي، وقد وقع بعض الباحثين في وهم كبير، عند ذكر انه عقب وفاة الشيخ: (بدأ الفتور يدب في نفوس طلاب العلم)[٦]، وهذا الرأي بعيد عن الصحة، بل على العكس من ذلك، فبوجود أبي علي الطوسي الذي استطاع أن يقوم بمهام الحوزة العلمية بعد الفراغ الذي خلف والده بشهادة كثير من المؤرخين، ولم يدب الفتور الحقيقي إلى مدرسة النجف حتى القرن السابع الهجري بغياب الزعامة الدينية فيها[٧].

تولى أبو علي الطوسي زعامة مدرسة النجف ومهامها الدينية، وأصبح المرجع الأول للأمامية، فيقول ابن حجر العسقلاني: (ثم صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي عليه السلام)[٨] وإليه تنتهي أكثر الإجازات العلمية عند الشيعة[٩]، قام بدور كبير في إدارة دفة الجامعة وتولى الحفاظ على استمرارها وبقائها في مدينة النجف: (وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتيان وإلقاء الحديث، وغير ذلك من شؤون الرياسة العلمية)[١٠]، وقد اجمع كافة المترجمين له على علو شأنه في العلم والعمل، وانه أحد كبار فقهاء الشيعة وأجلاء علماء الطائفة، وأفاضل حملة الحديث وأعلام الرواة وثقاتهم، ومنتهى الإجازات، وقد بلغ من علو الشأن وسمو المكانة انه لقب

بالمفيد الثاني[11]، تميزاً عن الشيخ المفيد أستاذ أبيه.

وإن الزعامة الدينية لم تكن تنتهي إلى أبي علي الطوسي لولا ما كان يتمتع به مكانة علمية وأكثر قابلية من سائر تلامذة الشيخ الطوسي: (لتحمل أعباء المسؤولية لإدارة شؤون الجامعة، واستمرار الحركة العلمية فيها زماناً ليس بالقصير، وهي تؤدي عملها العلمي بصورة امتدادية للشيخ الطوسي)[12].

والشيء الذي نحاول الوصول إليه أن انتهاء الزعامة إلى أبي علي الطوسي لا لكونه ابن الشيخ الطوسي، وإنما لما أظهر من قابليات علمية في زمن والده ميزته عن غيره ورشحته لنيل هذا المنصب، ويقول الأفندي: (وكان أبو علي شريكاً في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن علي الرازي، والشيخ أبي الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطربلسي)[13].

وظلت مدرسة النجف خلال هذا الدور، بمواصلة مسيرتها العلمية، واستقرار أوضاعها ما دامت الحوزة العلمية لم تخرج من مدرستها فبقيت محط توافد طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لأجل النهل من علومها والاستفاضة من معارفها الفياضة، واقتفى أبي علي الطوسي آثار والده من أجل النهوض بمدرسة النجف وتطوير مراحلها الدراسية.

ويمكن أن نتعرف على مدى رواج الحركة العلمية في مدرسة النجف على عهد الشيخ أبي علي الطوسي ما أوردته كتب الرجال عدداً غير قليل من حملة العلم والحديث من الفريقين الذين تتلمذوا على يده، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن بابويه صاحب كتاب الفهرست أربعة عشر رجلاً وأضاف إليها الشيخ أغا بزرك الطهراني ستة عشر رجلاً، كما ذكر ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ثلاثة أشخاص من العامة، فيكون المجموع أربعة وثلاثين.

وذكر ابن حجر العسقلاني من العامة تتلمذوا على يد الشيخ أبي علي الطوسي بقوله: (سمع منه أبو الفضل بن العطاف، وهبة الله السقطي، ومحمد النسفي)[14].

وهناك عدد غير قليل من الحلقات الدراسية التي كانت تعقد في المشهد الشريف، حيث تولى أمر التدريس فيها بعض من تلامذة الشيخ الطوسي، وان أغلب تلامذة أبي علي الطوسي التي ذكرناهم كانوا قد تتلمذوا على يد الشيخ المفيد أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد الله الرازي تلميذ الشيخ الطوسي وهذا ما وجدنا، عند تتبعنا لتراجم هؤلاء في المصادر الرجالية، إضافة إلى أن هناك عدد آخر من الأساتذة الذين تولوا إلقاء الدروس على طلبتهم في المشهد الشريف أي كان هناك إلى جانب أبي علي الطوسي كانت ترتكز مدرسة النجف على دعائم أخرى من تلاميذ الشيخ الطوسي، كان شيوخ الحوزة العلمية في النجف في الفترة التي أعقبت وفاة الشيخ الطوسي، كالشيخ أبي الوفاء بن عبد الله الرازي، والشيخ أبي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي المدعو حسكا، والشيخ أبو عبد الله بن هبة الله الوراق الطرابلسي وأبو عبد الله الحسين بن علي الحمداني إلى جانب صهر الشيخ الطوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار[15] حيث كانت له حلقة منفردة في المشهد الشريف

يلقي فيها مختلف العلوم الدينية وكان من ضمن تلامذته الطبري صاحب كتاب بشارة المصطفى الذي تتلمذ على يده بقوله: (أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن بقراءتي عليه في ذي القعدة سنة اثني عشر وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)[16].

واستمر الشيخ أبو علي الطوسي في إلقاء دروسه وبحوثه على طلابه في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حتى أواخر حياته حيث يقول الطبري: (أخبرنا الشيخ المفيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ع لي بن أبي طالب عليه السلام بقراءتي عليه في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة وخمسمائة)[17]، حتى وافاه الأجل في نفس هذا العام المذكور[18].

وعقب وفاة الشيخ أبي علي الطوسي ظلت مدرسته تؤدي دورها الرسالي في الدراسات العلمية والفكرية، حيث تولى رعايتها أسرة الشيخ الطوسي، فتقدم ولده أبو نصر محمد بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي[19]، فتزعم الحوزة العلمية في النجف، ويقول فيه أغا بزرك الطهراني: (كان الشيخ أبو نصر من أعاظم العظماء، أكابر الفقهاء، وأفاضل الحجج، وأثبات الرواة وثقاتهم، فقد قام والده في النجف، وانتقلت إليه الرياسة والمرجعية، وتقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحي)[20] ■

---

(١) الخفاف، سكن محافظة كربلاء ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ ص٥٥.
(٢) مدينة النجف الكبرى، ص١٢٠.
(٣) محمد جواد فخر الدين، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي، ص٣١٢.
(٤) نظرات في الذريعة، مجلة البيان، العدد السادس، السنة الأولى، ١٩٤٦، ص١٣٣.
(٥) الدراسة وتاريخها في النجف ـ موسوعة العتبات المقدسة ـ القسم الخاص بمدينة النجف، ٢١/٢.
(٦) كمال الدين، هادي، فقهاء الفيحاء أو تطور الحركة الفكرية في الحلة، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٢، ص٨٠.
(٧) محمد جواد فخر الدين، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي، ص٣٨٥.
(٨) لسان الميزان، ٢٥٠/٢.
(٩) المامقاني، تنقيح المقال، ٣٠٦/١، البروجردي، نخبة المقال، ١٠٥/١، القمي سفينة البحار، ٣٦٠/٢.
(١٠) أغا بزرك، مقدمة التبيان، ١/ أف.
(١١) ابن شهرآشوب، معالم العلماء، ص٣٢، الأفندي، رياض العلماء، ٢٠/ ورقة رقم ٧٧، الكاشاني، لباب الألقاب، ص٣١، بحر العلوم، تحفة العالم، ٢٠١/١، النوري، مستدرك الوسائل، ٤٩٧/٣، القمي، سفينة البحار، ٣٩٠/٢، هدية الأحباب، ص٢٤٤، الأمين، أعيان الشيعة، ٤٩٧/٣، أغا بزرك، الذريعة، ٢٣٦/٤، بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي، ص١٢٠ – ١٢١.
(١٢) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، ص٤٢ – ٤٣.
(١٣) رياض العلماء، ، ٢/ ورقة رقم ٧٧.
(١٤) لسان الميزان، ٢٥٠/٢.
(١٥) ابن النجف في النجف سطور، مجلة النجف، العدد الرابع، السنة الثانية، ١٩٥٨، ص٢٧.
(١٦) ص٨٦.
(١٧) بشارة المصطفى، ص٢٢.
(١٨) الحكيم، الشيخ الطوسي، ص١٨٤.
(١٩) أغا بزرك، مقدمة التبيان، ١/ أخ، مقدمة الغيبة، ص١١، طبقات القرن السادس، ص٢٥١، الذريعة، ٢٣٦/٤، بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي، ص١٢٢.
(٢٠) أغا بزرك، مقدمة التبيان، ١/ أخ.

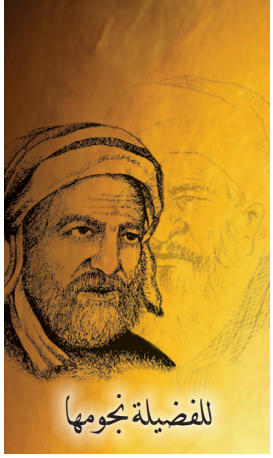

من علماء الهند..

السيد علي نقي النقوي

كتب سيرته بخط يده

تقديم: هيئة التحرير •

ينابيع

كتابة السيرة الذاتية موضوع تعرض إليه الكثير من الأعلام الذين أوقفوا حياتهم ونذروها لطلب العلم وتحصيله، وكانت في سيرتهم العطرة محطات مشرقة، كان لها الأثر البارز في تعريف الآخرين بهم وبما أنتجته وأبدعته تلك المحطات.

البعض من هذه السيرة نشرت على صفحات الكتب أو المجلات والبعض الآخر ظل رهين المخطوط الذي لم ير النور لسبب أو لآخر، ومنه ما وصلنا اليوم ليراه الناس على صفحات مجلتنا (ينابيع) التي أخذت على عاتقها جزءاً من التعريف برجالات العلم والمعرفة، خصوصاً الذين لم تسلط عليهم الأضواء بالرغم من شهرتهم وما تداولته الأيدي من نتاجاتهم الفكرية التي عكست حالة الإبداع والرقي المعرفي التي بلغوها.

ومن هؤلاء العلامة السيد علي نقي النقوي اللكهنوي الذي كان أنموذجاً من نماذج المدرسة النجفية الكبرى، وبذا نفتح الباب أمام سيرة رجال كتبوا تاريخهم بأيديهم ليبقى شاهداً خالداً على مر الزمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالهدى وجعلنا من أمة خير الورى والصلوة على نبيه المصطفى وآله مصابيح الدجى وبعد فقد سألني بعض من يجب علي إجابة سؤاله من السادة والعلماء الأفاضل جعله الله من أنصار الدين وحماة الشرع المبين أن أذكر له نبذة من شؤون حياتي وترجمة أحوالي حتى تكون تذكرة باقية وأحدوثة خالدة، فنزلت على حكمه وإن كنت أرى من قصور شأوي وسقوط خطري ما لا أستحق سمعه لذلك ومن أنا حتى يعنى بشأني ويبحث عن أحوالي ويسأل عن مبدأ أمري ومالي وهل أكون إلا امرئاً قليل البضاعة ساقط العزيمة كثير العثار وعقيد حاجة وافتقار (ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)، ولكن حيث سُئلت وجب عليّ الإجابة ومن الله أستمد المعونة والتوفيق أما نسبي فهو ينتهي بثمان وعشرين واسطة إلى الإمام الهمام علي

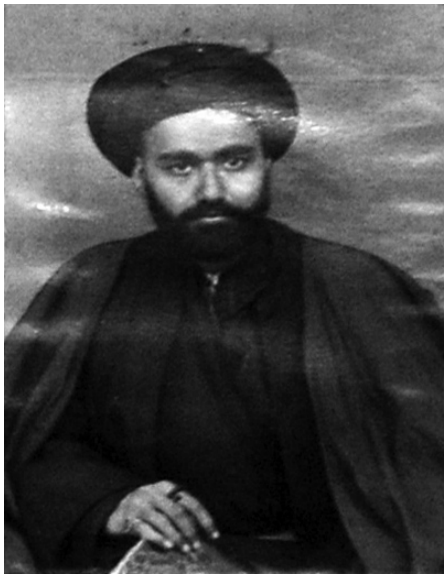

النقي الهادي سلام الله عليه وإليك بيانه:

أضعف العباد علي نقي بن ممتاز العلماء الثاني السيد أبو الحسن دام ظله ابن سيد العلماء الثاني السيد محمد إبراهيم بن ممتاز العلماء السيد محمد تقي بن سيد العلماء السيد حسين بن العلامة المجتهد الكبير السيد دلدار علي بن محمد معين بن عبد الهادي بن إبراهيم بن طالب بن مصطفى بن محمود بن إبراهيم بن جلال الدين بن زكريا بن جعفر بن تاج الدين بن نصير الدين بن علم الدين بن علم الدين بن شرف الدين بن نجم الدين بن علي بن أبي علي بن أبي يعلى بن محمد بن أبي طالب حمزة بن محمد بن الطاهر بن جعفر بن الإمام علي النقي الهادي سلام الله عليه.

ولدت يوم السادس والعشرين من رجب الحرام سنة ١٣٢٣ ثلث وعشرين بعد ألف وثلثمائة من الهجرة في بلدة (لكهنو) عاصمة العلم والتشيع في بلاد الهند ولما كنت ابن ثلاث سنين وأشهر سافر بي السيد والدي دام ظله إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٧ فبقي فيها خمس سنين ملتقطاً فوائد العلم عن أصداف صدور العلماء الأعلام ونشأت هناك في جوار باب المدينة (والحمد لله).

فلما بلغت سبع سنين رأى أن يشرع في تعليمي بيوم سعيد فأتى بي إلى مشهد أمير المؤمنين سلام الله عليه وكان العلامة الورع السيد محمد علي الشاه عبد العظيم وقتئذ جالساً على مصلاه يريد صلوة الظهر بالجماعة فسأله السيد والدي أن يبدأ بتعليمي تيمناً بأنفاسه الشريفة فعلمني بسم الله الرحمن الرحيم ونحن تجاه الضريح المقدس والصلوة قائمة بصفوفها وراء السيد الجليل ومنذ ذلك اليوم واظب السيد بنفسه على تعليمي

فضرب لي وقتاً من الفراغ وسلك بي منهجاً كان هو المؤسس له فسار بي سيراً حثيثاً قلما يسير الطالب مثله حتى إني في طي ستة أشهر فرغت من القرآن المجيد وبعض الكتب الفارسية بكل ضبط وإتقان ودخلت في النحو والتصريف وكان في كل من يومي الخميس والجمعة يلقي عليّ أسئلة فيما قرأته في أيام الأسبوع مع ما يتعلق بها من الفروع والأشباه التي يناط تخريجها بقوة الفطنة والذكاء فكنت أجيب فيها بما ساعدني عليه الفكر والحافظة ولربما أقف فيها فإن كان مما يحق لمثلي أن يقصر عنه لصعوبته كان هو دام ظله يوقفني عليه وإن تراءى له مني شيء من التفريط والتقصير فهناك الزجر والتنديد والبأس الشديد إلى أن أكون أنا المجيب عنه جواباً صحيحاً فإذا رأيت منه الرضا به والإقرار أكتبه تحت سؤاله حتى يكون تذكرة فيما يأتي فجمع عندي من ذلك كتب مدونة وقد رأيت لذلك في نفسي أثراً كبيراً من الزيادة في قوة الفطنة وتشحيذ الفكرة والإتقان في الضبط والمحافظة والتمرن على التأليف والتصنيف ومن مسلكه الخاص في تدريسي أنه لم يدعني أسمع وهو يقرر مطلب الكتاب بل ألزمني أن أقرأ العبارة وأبين معناها ومفادها والغرض منها حسب ما فهمت في أثناء المطالعة فإن كان صحيحاً بنظره أمضاه وإن كان به خطأ أمرني بالمراجعة ثانياً إلى أن أكون أنا المبين للمطلب.

نعم لو كان من المطالب الصعبة المستصعبة التي لا يمكن لمثلي أن يحل عقدتها بينها بنفسه حتى أنه ربما يمضي الوقت كله ويتم الدرس وهو لم يتكلم فيه بكلمة غير الإمضاء أو الأمر بالتأمل والمراجعة فبذلك أوجد في نفسي ملكة استخراج المطالب المشكلة من العبادات الصعبة بقوة المطالعة ثم ملكة التقرير وبيان المطلب العلمي على نحو يفهم المخاطب فكأنه في حين أنه يدرسني كان يجعلني مستعداً للبحث والتدريس فهو دام ظله بذلك المنهج وهذا حاول أن يجعلني مصنفاً ومدرساً في وقت واحد.

ولم أزل ملازماً له غدوة وعشياً في حين إقامته بالعراق ومن بعد رجوعه إلى الهند وهو في صفر سنة ١٣٣٢ حتى قرأت عليه كل ما قرأت من العلوم من النحو والتصريف والمنطق والحكمة والهيئة والفقه والأصول ولم يبعثني يوماً إلى أستاذ سواه حتى عندما كنت أتعلم حروف الهجاء المفردة فهو بنفسه الشريفة كان يهتم بي في كل الأدوار وكل الفنون اللهم إلا الأدب فإنه أمرني بالحضور فيه على زميله العلامة المفتي السيد محمد علي دام ظله ابن العلم الشهير المفتي السيد محمد عباس آل المحدث السيد نعمة الله الجزائري وما كان من قراءتي على بعض الأجلة من الفقهاء والأعلام بالهند على ما ستأتي الإشارة إليه فإنما كان التزاماً بقانون المدرسة الذي يوجب على تلاميذها الحضور في مجلس بحثها البتة وكان من آثار ما سلكه بي من المنهاج إني طويت مراحل الدروس السطحية وأخذت الشهادات العالية من كبار مدارس الهند وجلتها وأنا ابن عشرين سنة ولولا ما ظهر في البين من العراقيل التي عطلتني في خلال ذلك زهاء ثلث سنين لكنت أبلغ الغاية قبل هذا الأوان بمدة طويلة ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها والأشياء تجري على مقاديرها والأمر لله وحده.

كان السيد آلى على نفسه أن لا يبعثني إلى أستاذ سواه على ما ذكرت لكن دعته المصالح الشتى من بعد ذلك إلى أن يدخلني في بعض المدارس العلمية حتى أنال منها الشهادات الثمينة فدخلت الجامعة السلطانية المشتهرة بسلطان المدارس في لكهنؤ وحضرت على أكبر أساتيذها العلامة حجة الإسلام السيد محمد باقر قدس الله سره فسمعت منه شطراً من أصول الكافي وطهارة الرياض وفوائد شيخنا الأنصاري قدس سره ودخلت الجامعة الناظمية المسماة (مشارع الواعظين) فحضرت لدى أستاذها الأكبر العلامة المصلح الشهير السيد نجم الحسن مؤسس (مدرسة الواعظين) دام ظله وسمعت منه أيضاً شطراً قليلاً من الرياض والرسائل وقرأت لديه أيضاً من كتب الهيئة كتاب التصريح في شرح التشريح وعرضت على مسرح الامتحان في كل منهما ثلاث سنين وأديت أيضاً الامتحان في الكلية العربية ببلدة (إله آباد) وفي الكلية العظمى العربية أيضاً في لكهنو فكان مجموع ما أديت من الامتحانات ثمانية وكان من فضل الله علىّ ولطفه إني في كلها نلت قصب السبق وسبقت على شركاء الامتحان فلقبت من تلك المدارس حسب قواعدها بألقاب سند الأفاضل. وصدر الأفاضل. والفاضل. وممتاز الأفاضل. والعالم. وفاضل الأدب. وأخذت في التدريس منذ مبادئ أمري ومن لطف الله سبحانه عليّ أن جعل قلوب الطلاب تهوى إليّ حتى إني من بعد إتمام الدروس المرسومة في الهند واختصاصي بالتدريس مدة سنة أو أكثر لربما باحثت في يوم واحد أكثر من خمسة عشر درساً من فنون متباينة كالمنطق والفقه والأصول والأدب حتى أن السيد أبي دام ظله خاف عليّ من كثرة الاشتغال فلربما منعني إرشاداً وكاد أن ينهاني مولوياً ولما أنهيت الدروس السطحية إلى الرسائل والمكاسب في تلك البلاد وأديت الامتحانات ساعدني التوفيق الإلهي على المهاجرة إلى النجف الأشرف فزممت ركاب السفر وشددت رحال الطلب وخرجت من بلدي مودعاً للأهل والأخوان ليلة الأحد الثالث من شعبان سنة ١٣٤٥ ووصلت إلى النجف الأشرف بعد التشرف بزيارة مشاهد الكاظمين والعسكريين سلام الله عليهم ومشهدي الطف على صاحبيهما السلام يوم الثلاثاء السادس والعشرين من الشهر نفسه وكانت عطلة عامة في الأبحاث لأجل قرب شهر رمضان فبقيت وفي شهر رمضان ألفت رسالتي (كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب) وقد جعلها الله سبحانه مرضية عند الناس جميعاً وسبباً لمعرفة الناس وحسن ظنهم بي ومن التاسع من شهر شوال أخذت في تحصيل العلم بسعي متواصل وجهد مستمر إلى اليوم والحمد لله فقرأت الدروس السطحية في الرسائل والمكاسب والكفاية على أستاذي العلامة عمدة العلماء المحققين حجة الإسلام والمسلمين الميرزا أبو الحسن المشكيني النجفي دام ظله صاحب الحاشية على الكفاية وحضرت لديه أيضاً في خارج بحثه بكتاب الصلوة وحضرت في خارج الأصول بحث آية الله العظمى إمام المحققين شيخنا الأعظم الميرزا محمد حسين النائيني متع الله المسلمين بطول بقائه.

ومن حسن الاتفاق أن صادف أول حضوري لديه شروع دورته في مباحث الألفاظ فقد أدركت دورته الأصولية هذه من أولها إلى الحال على الاستمرار إلا نادراً في بعض الليالي إذا صادفني

مانع سفر ونحوه وحضرت في مباحث الألفاظ وشطر من الأدلة العقلية ونبذة من كتاب الطهارة مجلس بحث رئيس الشيعة والمرجع في أحكام الشريعة آية الله في العالمين السيد أبو الحسن الاصفهاني دام ظله وقليلاً من بحث الفقه والأصول لحضرة مقدام المحققين وواحد الأساطين الشيخ ضياء الدين العراقي أدام الله أيام أفاضاته اللهم هؤلاء مشايخي فأجزهم عني خير جزاء المحسنين وآتهم الحسنى في الدنيا والدين.

أما ما برز مني من المؤلفات فهنا ما كتبته وأنا بالهند ومنها ما كتبته بعد تشرفي بالنجف الأشرف أما القسم الأول فمنه رسالة البيت المعمور في عمارة القبور رداً على الوهابيين. روح الأدب في شرح لامية العرب. فرياد مسلمانان عالم مجموعة مناشير ومقالات ضافية والاستغاثة بالعالم الإسلامي وهذه الثلاثة مطبوعات وهي بلغة (أردو) اللغة الإسلامية بالهند. تذكرة السلف وهي كتاب في ترجمة جدي الأكبر العلامة المؤسس السيد دلدار علي قدس سره نشر كثير منها في بعض صحف الهند أرواق الذهب في استدال معافات وذهب عن صاحب (أوراق الذهب) في ترجمة جدنا العلامة الوحيد سيد العلماء السيد حسين قدس سره بالعربية. رسالة في حكم انتقاض التيمم بدلاً عن الغسل بالحدث الأصغر. تواريخ الأعلام وهي مجموعة لطيفة في تواريخ ولادات أو وفيات العلماء الأعلام والأفاضل الكرام هذه عدا ما أشرنا إليه من كتب دراسية في النحو والتصريف جمعناها من الأسئلة والأجوبة عند اشتغالنا بقراءة المبادئ العربية.

وأما القسم الثاني فمنه. كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب وهو أول ما الفته في النجف وقد تقدم ذكره طبع في المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف. السيف الماضي على عقائد الأباضي في زهاء (٣٥٠ صحيفة). شنف النضير في مسألة التصوير تراجم مشاهير علماء الهند. الردود القرآنية على الكتب المسيحية في الرد على النصارى. إقالة العاثر في إقامة الشعائر رداً على رسالة (التنزيه) السورة طبعت بالنجف. مطارحة علمية وهي ما جرى من المراسلات بيني وبين أحد الفقهاء الأعلام حول مواضيع رسالتي إقالة العاثر. رسالة في الاجتهاد والتقليد من تقريرات بحث آية الله شيخنا الأعظم النائيني دام ظله مجلد تام. مباحث الأدلة العقلية من تقريراته دام ظله برز منها جزء إلى أواخر البراءة. مجموع ديوان البقيعيات جمعت فيه ما قيل في فاجعة البقيع من المنظوم والمنثور. نظرات على كتاب السفور والحجاب للآنسة نظيرة زين الدين السورية. تاريخ وفيات الشيعة برز منها زهاء مجلدين ونشر منها شيء كثير في مجلة (الهدى) الإسلامية بالعمارة. تقريرات بحث الصلوة لآية الله الاصفهاني. أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات برز منه مجلد ضخم يزيد على (٣٠٠) صحيفة لم يتم. أصول الدين والقرآن رسالة بلغة (أوردو) الهندية. نظرات بحاثة في الأخبار الثلاثة كتبتها رداً على السيد رشيد رضا المصري صاحب مجلة (المنار) في إنكاره لقوله صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أقضاكم علي وقول الخليفة الثاني لولا علي لهلك عمر. الشعائر الحسينية في العراق. بغية المرتاد في شرح نجاة العباد لم يتم. لمحات على كتاب (الفتاة والشيوخ) للآنسة

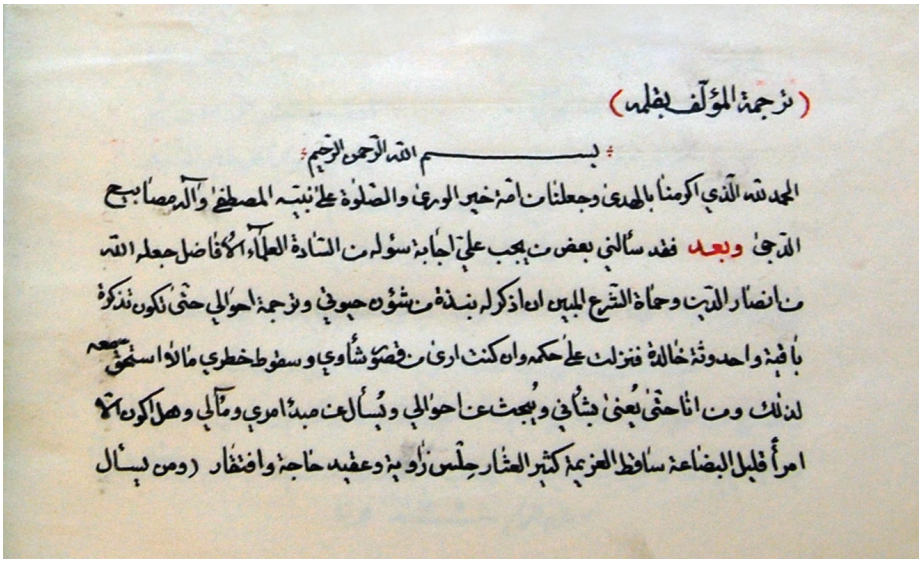
(ترجمة المؤلف بقلمه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اكرمنا بالهدى وجعلنا من خير الورى والصلوة على نبيه المصطفى وآله المصابيح الدجى وبعد فقد سألني بعض من يجب علي اجابة سؤله من السادة العلماء الاكافاضل جعله الله من انصار الدين وحماة الشرع المبين ان اذكر له بنذة من شؤون حبوتي وترجمة احوالي حتى تكون تذكرة بأفهة واحدوثة خالدة فنزلت على حكمه وان كنت ارى من فضول شأوي وسقوط خطري ما لا استحق معه لذلك ومن انا حتى يعنى بشأني ويبحث عن احوالي ويسأل عن مبدأ امري ومآلي وهل اكون الا امرأ قليل البضاعة ساقط العزيمة كثير العثار جلس زاوية وعقبه حاجة وافتقار (ومن يسأل

(نظيرة) زين الدين السفورية. رشحات القلم وهي مجموعة مقالات دينية نشرت مني في الصحف والمجلات الهندية. الظل الظليل في المكاتيب والمراسيل وهو مجموع ما دار بيني وبين جملة من الأعلام من المكاتيب العربية متضمنة النكات من البلاغة والأدب. حاشية الأدلة العقلية من الكفاية وفيها فوائد استفدتها من بحث شيخنا العلامة المشكيني دام علاه. تعليقات على المكاسب كذلك إلى غير ذلك من حواشي غير مدونة ومقالات ضافية منشورة وملاحظات انتقادية على الكتب التي طالعتها مما لا يسعني الآن بيانه وإني أعترف بالتقصير وأسأل الله سبحانه أن يوفقني للعلم والعمل بواجب الدين من نشر آثار سيد المرسلين وآله المعصومين إنه أرحم الراحمين.

وأما مشايخي في الرواية فهم كثير من أعلام الطائفة كالآيات والحجج والأعلام الميرزا محمد حسين النائيني. والميرزا علي أقا الشيرازي. والسيد حسن الصدر. والشيخ عبد الله المامقاني. والشيخ محمد باقر البيرجندي. وآقا رضا الاصفهاني النجفي. والشيخ مرتضى آل كاشف الغطاء طاب ثراه والسيد نجم الحسن الكهنوي. وسيدنا الوالد العلامة. والشيخ محمد كاظم الشيرازي. والسيد ميرزا هادي الخرساني. والميرزا محمد الطهراني. والشيخ محسن المعروف بآقا بزرك الطهراني نزيل سامراء. والحاج عباس القمي وغيرهم ممن ذكرت تراجمهم وأسانيدهم بأجمعها في كتاب (أقرب الأجازات).

هذا ما أردت بيانه في هذا المختصر قضاءً للوطر وإبقاءً للأثر. أسأل الله سبحانه أن يجعل عاقبة أمري خيراً ويرزقني الحسنى في الدين والدنيا إنه بالإجابة جدير وهو على كل شيء قدير.

كتبته في غاية الاستعجال وتوزع البال يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٩ هـ في بقعة النجف الطيبة الزكية على مشرفها ألف سلام وتحية وأنا الأقل علي نقي النقوي عفي عنه ■

أثر العقل في إعادة تشكيل الوعي الإسلامي

قراءة في وصية الإمام موسى الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم

د. عبد علي حسن ناعور الجاسمي •
الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

ينابيع

إن اهتمام الأمم بتراثها الفكري والحضاري، والتفات الشعوب في فترات يقظتها وسنوات انبعاثها إلى صفحات ماضيها، لا ينبغي أن يتحول إلى عودة هذه الأمم إلى العيش مرة أخرى في إطار القيم والمفاهيم والعلاقات التي سادت العصور التي دون فيها هذا التراث.

ولا ينبغي كذلك أن تتحول هذه الأنبعاثات إلى إغراق عقل الأمة وفكرها في أشد صفحات تاريخها وظلامها، وأكثرها بعدا عن العقلانية والاستنارة. وعندما نكون جادين حقا في بناء كيان حضاري، يطوي صفحات التخلف ويصل حاضرنا ومستقبلنا بالعصور الزاهية في تاريخ حضارتنا الإسلامية، فلابد إذن من أن نتعاطف ونلتزم بأعمال مفكريه التي انتصرت للمنهج العلمي في التفكير، وأعلت من شأن العقل ومجدت من شأن أتباعه، ضد الخرافة والجبرية

والاستبداد، ومن ثم فإننا ـ ونحن نرفع شعارات بناء الدولة العصرية المستنيرة المتحررة ـ نستطيع أن نتخذ من استعمالنا للعقل مقياسا وحكما لمدى صدقنا في الإيمان بهذه الشعارات.

ولا شك في أن النظرة الفاحصة في آثار أئمة الهدى عليهم السلام التي نريد أحياءها الآن ـ في ظل انعدام الوعي وغياب التخطيط السائدين في هذا الحقل ـ تجعلنا ندرك أننا ما زلنا بعيدين عن اتخاذ منهجهم ووصاياهم سلاحا في معركة أنعتاقنا من قيود التسلط والتخلف والاستبداد.

بل لا نغالي إذا قلنا إن الكثير مما يقدم لنا من تراث هو ثمرة جهد لا يراد من ورائه إلا العودة بهذه الأمة إلى قرون خلت وقيم تخطاها التقدم الإنساني. أقول: بم اقتدينا في إعادة ترتيب بيتنا المحطم؟ ومن أي المشارب انتهلنا ماء حياتنا التي أوشكت على النهاية؟ أهو الوعظ والإرشاد ومن ثم البكاء، وبعدها نعود إلى ديدننا الأول؟ تساؤلات كبيرة وكثيرة ومريرة تخرج الكلمات من أغراضها وتحيل مقاماتها إلى مضان غير المضان التي نريد ولكننا نعزي أنفسنا إزاء هذا الارتداد عن طريق العقل بأن فينا آثاراً غزاراً من منابع أصيلة تأخذ من نبع إلهي لا ينقطع ما دامت السماوات والأرض، ومن هذه المنابع، سابع أئمة المسلمين الإمام موسى الكاظم عليه السلام، الذي رسم لنا نهجا لا يصح غيره لإصلاح أمورنا، وبداية إصلاح أنفسنا لنعيد لعقيدتنا عزّها

المغيب، في وصية عمادها العقل والتفكير، يوصي بها تلميذه وتلميذ أبيه الصادق عليه السلام وهو هشام بن الحكم.

وقبل أن نعرض لبعض من هذه الوصية لابد لنا من أن نعرف بهشام بن الحكم لنعرف من خلال ذلك ولماذا خصه بهذه الوصية!.

ترجمة هشام بن الحكم:

هو أبو محمد هشام بن الحكم مولى بني شيبان، كوفي، تحول إلى بغداد من الكوفة وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام من متكلمي الشيعة ممن فتق علم الكلام في الإمامة، وهذب مذهب أهل البيت عليهم السلام بالنظر والمحاججة، وكان حاضر الجواب سريع البديهة، دعا له الإمام الصادق عليه السلام فقال: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك).

استعمل العقل بالدلائل والنظر من خلالها انتقل إلى القول بالإمامة بعد أن كان من أتباع الجهم بن صفوان، والجهم بن صفوان هذا هو القائل: لا قدرة للعبد أصلا، لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى إلا الله تبارك وتعالى. كان هشام بن الحكم منقطعا إلى البرامكة ملازما ليحيى بن خالد البرمكي، ثم تبع الصادق عليه السلام فانقطع إليه، وتوفي بعد نكبة البراكمة بفترة يسيرة وقيل: بل في خلافة المأمون. كان هشام يقول: (ما رأيت مثل مخالفينا، عمدوا إلى من ولاه الله من سمائه فعزلوه، وإلى من عزله من سمائه فولوه)[1].

الوصية قراءة وتحليل[2]:

تبدأ وصية الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: (يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه وقال: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) (الزمر ١٨) واختيار هذه الآية طريقاً في الاستدلال المؤدي إلى إتباع القول الحسن، ليس اختياراً نمطياً أو استذكارياً، لأن استماع القول شيء وإتباعه شيء آخر، ولا أظن إتباع القول في هذا السياق غير إيحاء للتطبيق، أي: اتخاذ السلوك والعمل طريقاً إلى إثبات النية الصادقة ومشاركة الآخرين في ذلك، لأن البناء الإنساني لا يقوم على جهد فرد أو أفراد معدودين.

والإنسان في مرحلة كفاحه الطويل في سبيل البقاء لا يمكن أن نفصل فيه الجانب الأخلاقي عن الجانب الإجتماعي، ولا عن الجانب الروحي، فهو ـ في الوقت الذي كان يبني فيه نفسه ـ كان يبني في الوقت نفسه ذاته ومثله العقلية، وإن كان لا يعي من الأمر شيئاً.

فمنذ طور النشأة نمت فيه خصال اجتماعية جوهرية، أي: خصال لابد منها لتأمين حد أدنى من التضامن والتكامل والتواد والتحاب والتعاطف، ومن ثم أدرك أنه ليس من العقل في شيء أن يعتدي على جزء من أجزاء تلك الجماعة، ذلك لأن العقل في واحد من تعريفاته (قوة محصنة خالية من الفعل، أو هو الأستعداد المحض لأدراك المعقولات) فهو يبدأ منذ عرف الإنسان إن له حاجة يريدها.

فقد روى الجاحظ أن رجلاً من الحكماء سئل: متى عقلت؟ قال: ساعة ولدت فلما رأى إنكار الناس لكلامه قال: أما أنا فقد بكيت حين خفت، وطلبت الأكل حين جعت، وطلبت الثدي حين احتجت، وسكتُ

حيــن أعطيت، يقول: هــذه مقادير حاجتي ومن عرف مقادير حاجاتــه إذا منعها، وإذا أعطيهــا، فلا حاجة به فــي ذلك الوقت إلى أكثــر من ذلــك العقــل. (الحيــوان: ٥٦/٧) ومــن نعم العقل الفعلــي أو العقل بالفعل كما يسميه أهل المنطق، هو أن تصير النظريات مخزونــة عن قوة الفعل بتكرار الأكتســاب، بحيــث يحصل لهــا ملكة الأســتحضار متى شــاءت من غير تجشم كسب جديد، لكنه لا يشاهدها بالفعل.

وإلى هــذا ذهب الإمــام الكاظم عليه السلام في ذكــر الآيــات الكريمة إذ قال: (يا هشــام إن الله تبــارك وتعالــى أكمــل للنــاس الحجج بالعقول، ونصر النبييــن بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجــري في البحر بما ينفــع الناس وما أنزل الله من الســماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والســحاب المســخر بين الســماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)(البقرة١٦٤).

ثــم يقول الإمام عليه السلام: (يا هشــام قد جعل الله ذلــك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً، فقال: (وســخر لكم الليل والنهار والشــمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (النحل١٢).

وقــال: (هــو الذي خلقكم مــن تراب ثم من نطفة ثم مــن علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مســمى ولعلكم تعقلون) (غافر٦٧).

فالإمــام عليه السلام يورد النــص الأول في هذه النطاق ليعقل الإنســان مــا حوله من المعالم التي يراهــا كل يوم، وحركة هذه المفردات الثابتة والمتحركة، ومن بعد هذا وذاك يدخل الإمام عليه السلام إلى الاستدلال عن طريق الإنسان نفســه ليكون هذا الإنســان ذا عقل مستفاد تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه وذلك عن طريق الحسيات أو الدليل الحســي فضلاً عن التجــارب الخزينة عند الإنسان نفسه من التفكير واستعمال العقل، وإلى هــذا ذهب الإمام أميــر المؤمنين عليه السلام في قولــه: (لا عبادة كالتفكــر في صنعة الله عز وجل)[٢].

وعلــى وفق هــذا التدرج فــي النصيحة والاســتدلال بالقرآن الكريم يســتمر الإمام الكاظــم عليه السلام حتــى يصل إلى الغــرض الأكبر مــن الوصية، وهو الســلوك وأثــره في بناء المجتمــع المثالــي، قال: (يا هشــام إن الله تعالى يقول في كتابه: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، يعني: عقــل، وقال: ولقد آتينا لقمان الحكمة، قال: الفهم والعقل).

وعند الرجوع إلى معجمات اللغة وجدت أن العرب تقول: (رجــل عاقل: وهو الجامع لأمره ورأيــه، مأخوذ من عقلــت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيــل: العاقل: الذي يحبس نفســه ويردها عن هواها والعقل: التثبت في الأمــور، والعقل: القلب، والقلــب: العقل، وســمي العقل عقــلاً لأنه يعقــل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه)[٤] إلى آخر هذه المضامين التي وردت عن العقل.

ولكننا نشير إلى المضامين الرئيسة التي تلت ذكر الآيــات الكريمة، إذ بدأ الإمام عليه السلام بإعطــاء الخلاصــات التــي اســتمدها من النصوص الشــريفة ليركز علــى الأغراض والمضامين الرئيســة التي أرادها من خلال هذه الوصية، ومنها: التواضع. أدلة الحق. ذم إتباع الهوى. حســن الخلــق. ذم الكذب. كف الأذى. في سلســلة خلقية اجتماعية تنأى عن اســتعمال الخوارق وذكــر المعجزات واتباع

الأوهام والأباطيل، بل جاءت هذه المفردات علمية تطبيقية تدعو إلى اتخاذ العقل وسيلة إلى الرقي بالأعمال إلى حسن تطبيقها، وهو عليه السلام من بيت حري أن يوصي لأنهم العاملون حقاً، ولأن دعوة الفضيلة والخلق والضمير تنبت من الأرض، ويمكن لعقل الإنسان أو قلبه أن ينادي بها ويحيا عليها.

إن الأمين الصادق الشجاع البعيد عن الترف والجشع، والطمع بسائر الدنايا هي صفات الرجل المؤمن من دون أن يحاول إثباتها من خلال إقامة المعالم والطقوس التي لها محل غير هذا المحل، ومن دون أن يلوح لصاحبها بالثواب في حياة أخرى أو يخوفه من عذاب النار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبل النجاح)[٥].

إن المدنية الحديثة قد سدت على الناس أبصارهم ومسامعهم وصورت لهم أن معنى الإنسانية ليس إلا العمل على إيجاد حياة أفضل والانتفاع من اللذة أكثر وكأن ليس للإنسان هدف غير ذلك، فالناس يفكرون في كيفية الحصول على مسكن أحسن ومركب أوسع، ومقام أرفع، ويجدون في أن يعرفوا أي السبل تدر عليهم ثروة أكثر كي يتمكنوا من ممارسة شهواتهم بصورة أوسع، في حين أن الإسلام يعد التفكير واستعمال العقل والتدبر في عوالم الخلق أعظم العبادات بدليل ما أسلفنا من قول أمير المؤمنين عليه السلام: (لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عز وجل)[٦].

نعم إن المطالبة باتخاذ السلوك محجة للتطبيق ليس بالأمر الهين وهذا لا يتجه إلى العقل وحده، وإلا لهان الأمر، ولعله من الأصح أن نقول إنه يتجه إلى العقل بطريق غير مباشر ومعقد جداً، وعلى الإرادة مباشرة ومواجهة في محاولة للتأثير فيها، وهنا تكمن مسألة السلوك أو التطبيق، فليس الأمر هنا أمر إقناع، فنحن مقتنعون جميعاً أن الدخان وتعاطي المسكرات والإفراط في الشهوات تتلف الصحة، ومع ذلك فإن أكثرنا يتنكر لهذه التعاليم، ليس الأمر هنا تحصيل للمعرفة، بل هو تطبيق هذه المعرفة، والفرق بين التحصيل والتطبيق كالفرق بين السماء والأرض.

إن هذه العادات التي نريد اقتلاعها من نفوسنا لم ترسخ فينا بالعقل وحده وإلا لامكن انتزاعها بالعقل كأي نظرية علمية خاطئة يمكن التخلي عنها بسهولة عندما يثبت خطؤها، فما اقتنصناه بحكم العقل أيضاً يمكن انتزاعه، والصعوبة إنما تبدأ عندما يتدخل في الأمر عامل آخر غير عامل العقل، كالعادة وظروف النشأة والبيئة والمصلحة وغيرها.

ولكننا نستطيع على الرغم من هذه القيود أن نعد العدة لرابط حقيقي، والرابط الحقيقي هو ما يربط الإنسان بأخيه الإنسان، فليس لأحد أن يحيد عنه إذا كان حريصاً على الإلتزام بالقانون الخلقي قانون الإرادة الطيبة المتحققة من خلال العقل ومن ثم فليس لأحد أن يتطلب من أعماله أن تكون صادرة عن نداء العقل.

فإذا كان المرء يتخذ العقل رائداً وباعثاً له في سلوكه عند أدائه فسوف يشعر بشعور غامر بالسعادة الكاملة التي لا يشعر بها النفعيون والأنانيون وأصحاب المصالح والمآرب والأغراض.

إن المضامين الرفيعة التي أفاض بها الإمام موسى الكاظم عليه السلام على تلميذه هشام بن الحكم طريق سالكة للإصلاح، ولإعادة

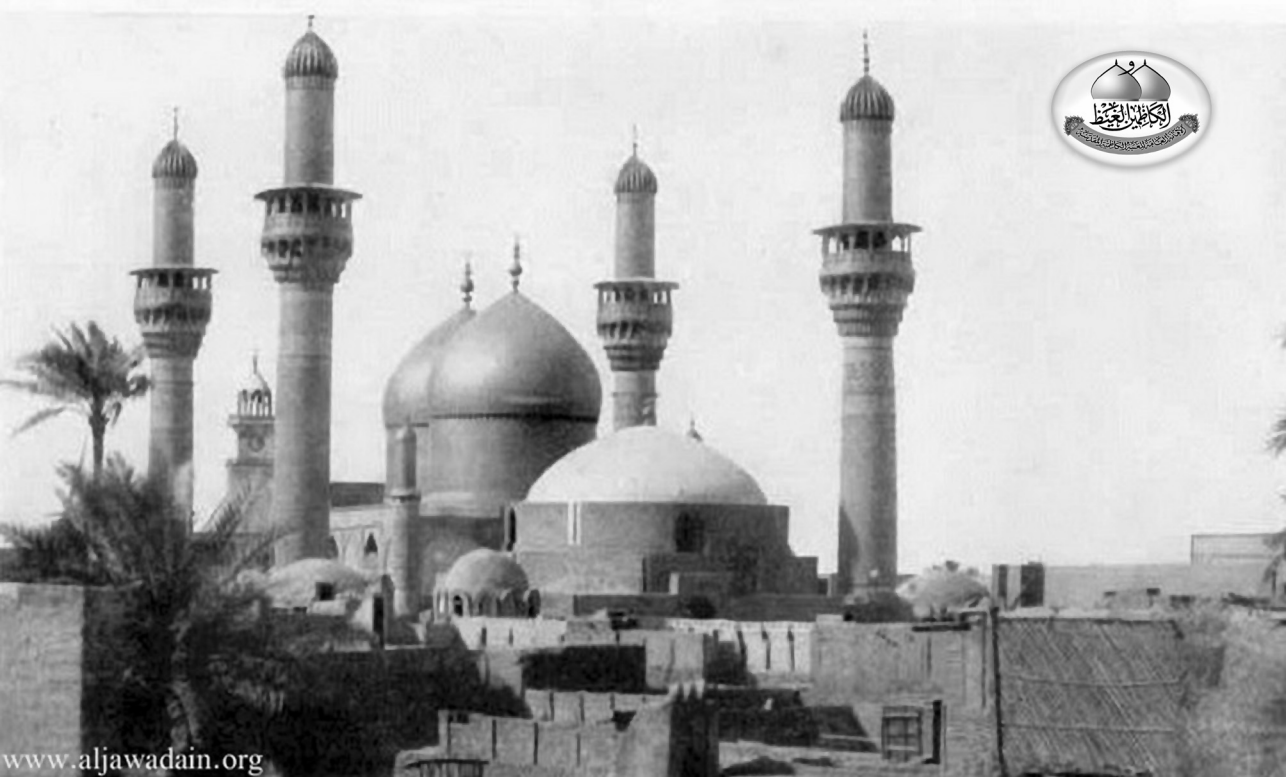

صورة قديمة للمشهد الكاظمي المطهر أخذت سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م

ترتيب بيتنا المحطم كما تقدم في صدر هذا الكلام. والإصلاح عند أكثر المفكرين يبدو لأول وهلة أن منطلقه الأسرة، إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسد. وهذا يعبر عن جزء الحقيقة، لأن الأسرة لا يمكن تنظيمها قبل تقويم النفس، وعلى هذا المضمون ركز الإمام عليه السلام بإصرار وإعادة وتذكير.

إن وصيته موجهة إلى النفس أولاً إلى مكافحة هواها، وتقويم النفس لا يكون إلا بتطهير القلب، أي بتطهير النفس من الشهوات الفاسدة الدنيئة، والقلب لا يطهر إذا لم يكن مخلصاً في تفكيره، وهو لا يخلص في التفكير لأنه قد غلب عليه الهوى، فتشوهت الحقائق، ولم يعد ممكنا البحث في طبائع الأشياء بحثاً موضوعياً منزّهاً عن الأغراض والأهواء، فإذا سعى الناس إلى المعارف المنزهة عن الغرض والهوى أخلصوا في تفكيرهم، وإذا أخلصوا في تفكيرهم تطهرت قلوبهم من الازدواجية، وإذا تطهرت قلوبهم من الازدواجية صلحت نفوسهم وإذا صلحت نفوسهم صلحت الأسرة، سلسلة مترابطة من الحلقات يأخذ بعضها بأعناق بعض.

أما المواعظ التي تحث على الفضيلة فهي لا تجدي شيئاً، كما لا يجدي العقاب الرادع، فللإصلاح أبوابه، فإذا كان عزمنا إعادة الريادة إلى الأمة الإسلامية من خلال رموزها الحقيقية فحري بنا أن نأتي البيوت من أبوابها لا من ظهورها ■

---

(١) مقتطفات من وصية الإمام الكاظم لهشام، كما وردت في الكافي للكليني ١٣/١.
(٢) قاموس الرجال، التستري ٥٢٢/١٠ بتصرف.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي ٣٢٤/٦٨.
(٤) لسان العرب، ابن منظور مادة: عقل.
(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ١٩٣/١١.
(٦) بحار الأنوار ٣٢٤/٦٨.

عصر التقنية فائقة الصغر

(Nanotechnology)

رائدة القرن الواحد والعشرين

بين الواقع والطموح

أ. د. محمد باقر فخر الدين •
معهد أبحاث الأجنة وعلاج العقم/ جامعة النهرين

١- التعريف:

ينابيع

يشتق مصطلح التقنية النانوية (نانوتكنولوجي) من النانومتر (Nanometer)، وهو مقياس مقداره واحد من ألف من مليون من المتر، أي واحد على بليون من المتر، أو واحد من مليون من المليمتر. ويمثل ذلك واحداً على ثمانين الفاً من قطر شعرة واحدة! ويتضح من ذلك انه مقدار شديد الصغر. حيث يبلغ سمك الشعرة الواحدة للإنسان ٥٠ ميكرومترا أي ٥٠،٠٠٠ نانو متر، وأصغر الأشياء التي يمكن للإنسان رؤيتها بالعين المجردة يبلغ عرضها حوالي ١٠،٠٠٠ نانو متر، فعندما تصطف عشر ذرات من الهيدروجين فإن طولها يبلغ نانو مترا واحدا، ومن هنا نستنتج كم هو قياس النانومتر شيء دقيق للغاية.

وتعني كلمة نانو باللغة اليونانية (قزم)، والنانو هو المقياس الذي استخدمه العلماء عند قياس الذرة والالكترونات التي تدور حول نواة الذرة وما إلى ذلك. والنانو هو مقدار نمو شعرة الذقن

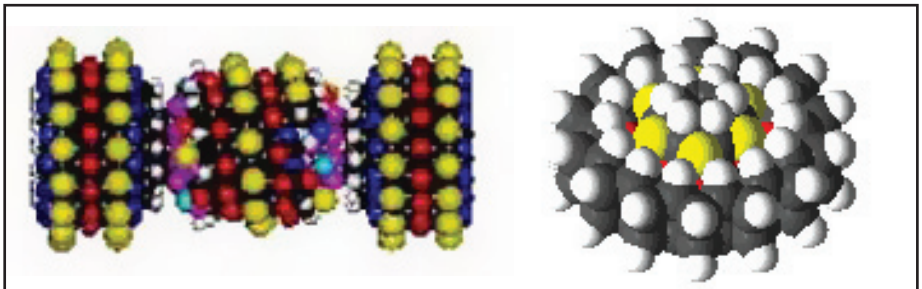

مجموعة تروس ذرية تستخدم في تصنيع الآلات النانوية

في الفترة الزمنية التي يستغرقها رفع اليد للحلاقة، وهذا المثال البسيط هو لتقريب الحالة إلى شيء يمكن إدراكه وهو طبعاً ليس تعريف علمي، لكن لهذا العلم انجازات عظيمة ومن الأولى أن نتحدث عن فكرة بسيطة عن العمل في هذا العلم مثلا في حالة كربونات الكالسيوم فإذا رتبنا الذرات بطريقة خاصة يظهر شكل مسنن كما في حالة الطباشير فان نتاج هذا الترتيب يكون سهل الكسر وفي حالة الترتيب على شكل طبقات يكون المنتج أكثر صلادة كما يوجد لدى بعض الرخويات.

كذلك نفس الحال في الكربون سواء في الفحم أو في الماس فالاختلاف واضح في الصلابة والشكل لأن الجزيئات تحتاج أن تكون في حالة استقرار يعني اتزان القوى الخارجية ولتحقيق الاتزان يوجد أكثر من ترتيب يحقق ذلك وباختلاف الترتيب تختلف المركبات من حيث الصفات الفيزيائية والتركيبية ومركبات القوى وبالتالي يختلف تأثير القوى الخارجية، وقد أمكن باستخدام مجهر متخصص عالي التقنية التحكم في الجزيئات المفردة، وبعبارة أخرى يمكن أن نرتب هذه الجزيئات بأيدينا ونتحكم في الخصائص المختلفة.

٢- نظرة تاريخية:

ترجع أول أفكار التقنية النانوية (Nanotechnology) إلى عالم الرياضيات الأمريكي فون نييمان والذي نال جائزة نوبل عام (١٩٥٩). ولتوضيح الفكرة وإعطائها بعداً مادياً وحقيقياً، عمل نييمان المثال التالي: فقد أرسل إلى زميله دبوساً كتب على رأسه جملة (ما رأيك بهذا، هل تستطيع تقليده)؟ فيرد الزميل الدبوس بعد أن كتب على نقطة في تلك الجملة عبارة (حسناً، ما رأيك أنت بهذا)؟ وبذلك أصبح هذا المثال المدخل إلى عالم التقنية فائقة الدقة (التقنية النانوية).

عزيزي القارئ الكريم لابد لنا من أن ننوه أن استخدام مصطلح التقنية النانوية لأول مرة كان عام ١٩٧٤ وذلك من قبل الباحث الياباني نوريو تانيغوشي عندما حاول بهذا المصطلح التعبير عن وسائل وطرق تصنيع وعمليات تشغيل عناصر ميكانيكية وكهربائية بدقة ميكروية فائقة. وفي عام ١٩٨٢ افتتحت

البوابة إلى عالم الذرات بشكلها الواسع عن طريق الباحثين السويسريين جيرد بينيغ وهاينريش رورير، حيث قاما بتطوير مجهر يعتبر الأكثر دقة من أجل مراقبة الذرات وإمكانية التأثير بها وإزاحتها وأهّلهما إنجازهما المشترك تقاسم الحصول على جائزة نوبل بعد أربع سنوات وبالتحديد عام ١٩٨٦. كما اكتشف الباحث الياباني سوميو ليجيما في عام ١٩٩١ الأنابيب النانوية المؤلفة فقط من شبكة من الذرات الكربونية والتي تتميز بصفة الحصول على مقاومة شد أعلى من مقاومة شد الفولاذ بعشرة مرات وأكثر قساوة واستقراراً من الماس لمرتين على الأقل.

وفي منتصف ثمانينيات القرن الماضي وبالتحديد عام ١٩٨٦، وضع عالم الرياضيات الأمريكي اريك دريكسلر، الذي يعتبر المؤسس الفعلي لهذا العلم كتاباً اسمه (محركات التكوين)، حيث بسّط فيه الأفكار الأساسية لعلم التقنية النانوية. كما عرض فيه أيضاً المخاطر الكبرى المرافقة له. تتمثل الفكرة الجوهرية في الكتاب بأن الكون كله مكون من ذرات وجزيئات (Atoms و Molecules)، وأن لابد من نشوء تقنية وإمكانات علمية عالية الدقة للسيطرة على هذه المكونات الأساسية. ويمكن صناعة أي مادة إذا عرفنا التركيب الدقيق للمواد، أو أي شيء، بواسطة رصف مكوناتها الذرية ورصها جنباً إلى جنب بشكل دقيق جداً بما يمكنها من إعطائها وصف معين أو وظيفة ما. فمثلاً من المعروف ان الماس مكون من ذرات الفحم وجزيئاته. ونظرياً، يمكن تفكيك الفحم، ثم إعادة رصف ورص مكوناته الذرية لصناعة الماس. كذلك يعتبر البورسلين مادة مهمة، ولكنها هشّة. وسبب هشاشتها وجود فراغ كبير نسبياً بين جزيئاتها من الرمل، ، ما يقلل من تماسكها. لذلك يمكن أخذ أي بورسلين، مثل الصحون وأطباق المائدة وتفكيكها إلى مكوناتها الذرية الأصغر، ثم إعادة رصف هذه المكونات بصورة متماسكة جداً. مما يؤدي إلى إنتاج بورسلين أقوى من الحديد، يمكن استعماله في صنع سيارات خفيفة الوزن لا تحتاج إلى كثير من الوقود. وإذا كان علينا أن نحول الخيال إلى واقع فمثلاً يتشارك البترول في تركيبه مع الكثير من المواد العضوية. ويمكن تركيب البترول بشكل جديد، انطلاقاً من أي نفايات عضوية، بعد تفكيكها إلى مكوناتها الذرية ثم إعادة تجميعها لتصنع بترولاً!

ولأن الحال بوجود احتمالات لا متناهية. يمكن صناعة المعدن الأشد صلابة على الأرض وهو التيتانيوم، الذي تصنع منه مركبات الفضاء، انطلاقاً من أي سبائك معدنية غير ذات قيمة. أنه انقلاب جذري للعلاقة بين الصناعة والمواد الأولية، بل ومجمل نظام التبادل الاقتصادي العالمي.

٣- آلية تصنيع الأجهزة والمستلزمات النانوية باستخدام التقنية النانوية:

إن من المعلوم لدى المهتمين بالعلوم الطبيعية والهندسية تعد الذرات هي وحدة البناء الرئيسية لكل المواد في هذا الكون الفسيح. فنحن البشر وكل شيء

حولنا مكـون من الذرات. فعلى سـبيل المثال أجسـامنا عبارة عن خلايا مكونة من تجمع لعـدد هائل مكون من الذرات بطريقـة معينة، هـذه الخلايا عبارة عن آلات نانويه طبيعية لا دخل للإنسان فيها. كمـا أن المواد التي نشـتريها هي أيضاً عبـارة عن ترتيب معيـن للذرات لتكون تلك المواد، فيمكننـا أن نتخيل الآن أنه بالإمـكان أن نتحكم بترتيـب ذرات أي عنصر ومادة وهو ذات اختصاص التقنية النانوية والكثير من العلماء يؤكد على انه في غضون عشرة سنوات سيتم التحكم بكل ذرة من الذرات المكونة للمادة.

إذاً مـن كل ما تقدم يتضـح أن في كل صناعـة نانوتكنولوجـي، هنالك ضرورة للسـيطرة علـى الذرة الواحـدة والجزيء الواحـد، والـذي يمكننا مـن ذلك وجود مـا يعـرف بـالرواصـف (أو المجمـع Assembler)، والتـي هي الحلـم الكبير للعالـم الأمريكي دريكسـلر. ولذلك علينا عزيزي القـارئ الكريـم أن نتخيل ما هو الراصـف؟ ومـا هي آلية عمـل الراصف ووظيفتـه؟ فهل هو إنسـان آلي (روبوت Robot) متناهـي الصغر، لا يرى بالعين المجـردة، ولا يزيـد حجمـه عـن حجم بعض الجراثم الميكروبية مثل الرواشـح (الفيروسـات) أو البكتيريـا. ويفترض أن يمتلك الراصف (أذرعاً) تمكنه من الإمساك بالـذرة أو الجـزيء، بمـا يعطيـه القدرة على تفكيك أي مادة إلـى مكوناتها الذرية الأصغر. وكذلك لـه الإمكانية على رصف الذرات الواحدة قرب الأخرى لصناعة كل شيء انطلاقاً من أي شيء تقريباً معد لهذا الغرض. ومثل كل إنسـان آلي (روبوت)، فانـه مزود بعقل الكترونـي وآليات تمكن الراصـف مـن التصـرف بـكل سـهولة ويفترض لديه إمكانات هائلة بما يشابه اي حاسوب، يدير كل أعماله. ويتحكم البشر بالرواصف عبر تحكمهم بالحواسيب التي تدير الرواصف وبرامجها. ومن هنا يمكن تخيّل راصـف طبي بحجم فيروس مبرمج لملاحقـة البكتيريـا التي تسـبب أمراضاً في الإنسان. يمكن حقن مجموعة من تلك الرواصـف في دم مريض مهـدد بالتهاب قـد عجزت الإمكانـات الطبية عن علاجه وشـفائه. حيث تلاحـق هـذه الرواصف البكتيريـا وتهاجمهـا وبالتالـي تمزقهـا وسـرعان ما يتخلص المريض من شـبح المرض أو الموت. هكذا يشرح دريكسلر بشكل مبسط عمل رواصف التقنية النانوية في كتابه سابق الذكر.

ومـن الجدير بالاهتمـام يمكن لهذه الرواصـف أن تُبَرْمَـج لتمسـك بذرات معدنيـة لصنـع مركبات فضـاء بحجم يقـارب ظفـر الأصبـع، علمـاً أن تلك المركبات مـزودة بحواسـيب متطورة وأجهزة اتصال مع الأرض على اختلافها. ويمكن لهذه المركبـات فائقة الصغر أن تسـتعمل أي مصدر للطاقـة في الفضاء الخارجي، مثل الضوء أو حتى الذبذبات الصوتية، للانطلاق إلى مجرات لا يحلم الجنس البشري بالوصول إليها. وينطبق الوصف نفسـه على صنـع غواصات لها إمكانات متطورة جداً على مسـح وسبر أغوار محيطـات الكرة الأرضية. وهكذا دواليـك. ويتضـح مما تقـدم أن الأمر يتطلب أعداداً كبيرة من الرواصف. مما يتطلـب حلاً علميـاً بصناعتها، أو حتى تكليـف الرواصف نفسـها بصنعها، أي إعطاء الرواصف القدرة على (استنساخ)

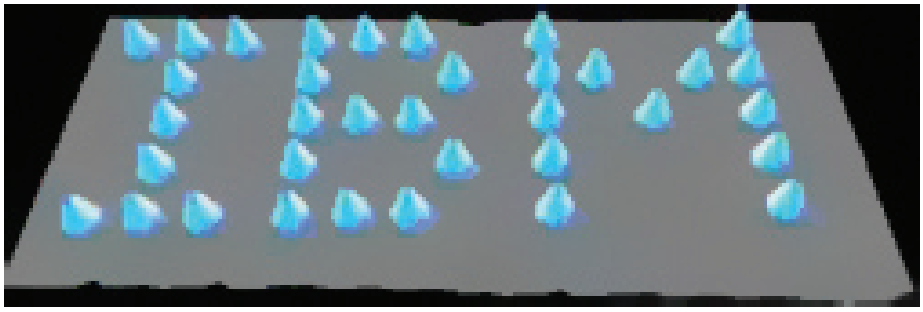

صورة تحت الميكروسكوب الالكتروني لكلمة كتبت بذرات الزينون

نفسها بنفسها. كأنها أنسال لنوع جديد سيولد على الأرض بفضل علم التقنية فائقة الصغر (التقنية النانوية).

وقد بين المضطلعين بهذا العلم والتقنية وجود ثلاثة مراحل للوصول إلى مواد وأجهزة وآلات مصنعة بالتقنية النانوية هي:

١- على الباحثين والعلماء أن يتمكنوا من التأثير والتحكم بكل ذرة من الذرات المكونة للمادة، وهذا يعني تطوير طريقة للامساك بالذرة وتحريكها إلى المكان المطلوب، وفي الحقيقة تمكنت شركة صناعة الحواسيب المتطورة IBM في العام ١٩٩٠ من كتابة أسم الشركة على سطح بلورة من النيكل بواسطة ترتيب ٣٥ ذرة من ذرات عنصر الزينون وأستخدم علماء شركة IBM في ذلك جهاز المجهر الذري (atomic force microscopy).

٢- تتلخص المرحلة الثانية بتطوير آلات نانوية تسمى الراصف (أو ما يعرف بالمجمع assembler)، تبرمج مسبقاً لتتحكم في الذرات والجزيئات، وحيث أن مجمع واحد يحتاج إلى الاف السنين ليصنع مادة من نوع واحد من الذرات لذلك فإن المطلوب هو ملايين من هذه المجمعات تعمل مع بعضها البعض لتصنع جهاز أو آلة أو مادة.

٣- ليتمكن العلماء من تطوير ملايين الرواصف (المجمعات) فإن أجهزة نانوية تسمى المستنسخات (Replicators) تكون مبرمجة لتبني هذه المجمعات. نستنتج مما سبق أن التقنية النانوية تحتاج إلى بلايين من المستنسخات لبناء البلايين من المجمعات وهذه لن يزيد حجمها عن مكعب بحجم ١ ميليمتر مكعب والتي بدورها تتحكم في الذرات.

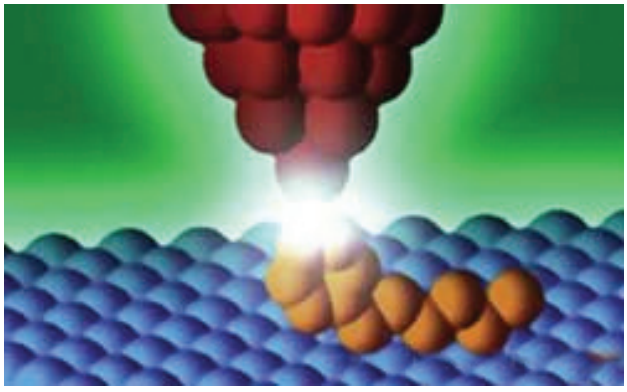

ولكي لا نندهش فهذا كله لن يرى بالعين المجردة وهذا يعني أن أيدي عاملة من نوع جديد بانتظارنا! للولوج إلى عالم الصناعات والتقنيات على اختلافها.

٤- تطبيقات علم التقنية فائقة الصغر:

إن ظهور مصطلح التقنية فائقة الصغر (التقنية النانوية) في عام ٢٠٠٤، ساهم بشكل غير منقطع النظير إلى التعريف بكونها تكنولوجيا تصنيع أدوات ومكائن حجمها جزء من مليون جزء من الميليمتر! وأن الذرات هي العناصر الأولية التي تكون الأشياء في الطبيعة وفي نفس الوقت هي العناصر الأولية في هذه التقنية.

ونظراً لحصول تطورات هائلة في العلوم البيولوجية والطبية بما يمكننا من تخيل حجم خلية في جسم إنسان؟ وما هي العمليات المعقدة التي تقوم بها؟ لذا لن يكون عسيراً على حضارة اليوم تصنيع منتجات بتقنية النانو خلال العشر سنوات القادمة. فعصر التكنولوجيا فائقة الصغر تغزو جميع المجالات لتصنع ما لا تراه العين المجردة كون اعتمادها على الذرات. فهذه الذرات وبسبب التجاذب أو بسبب تكامل أشكالها في عملية تركيبية تعد الأساس المتين لصناعة تقنية النانو، حيث سيحتاج العلماء لصنع آلات راصفة (مجمعة) للذرات وآلات تصنع هذه الرواصف (المجمّعات). كما سيتمكن الإنسان من إعادة صناعة المجوهرات والماء والطعام والأدوات الاستكشافية التي تبحر في جسم الانسان وتحارب خلايا السرطان وتستأصلها وتلاحق الرواشح (الفيروسات) وتقوم بعمليات معقدة طبية وعلاجية وتجميلية وتصويرية دون الحاجة إلى الجراحة والنواظير الداخلية وقد لا تنتهي من تخمين ما يمكن ان يحدث!

أن منتجات التقنية النانوية أدوات لا تنتج التلوث ولا تحتاج كثير من المساحة ولكن تحتاج إلى كوادر جديدة للتعامل مع أجسام النانو وأجهزة دقيقة حتما ستغير وجه عالمنا في مستقبل الأيام.

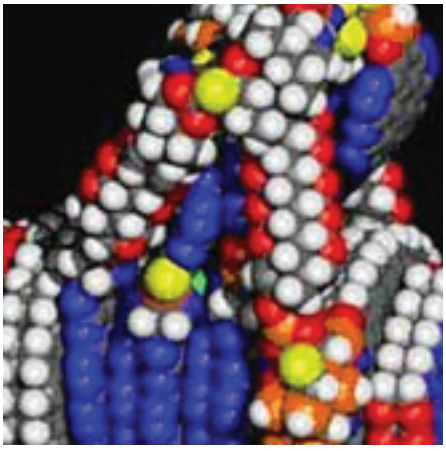

ويمكن من خلال تقنية النانو صنع سفينة فضائية في حجم الذرة يمكنها الإبحار في جسد الإنسان لإجراء عملية جراحية والخروج من دون جراحة، كما تستطيع الدخول في صناعات الموجات الكهرومغناطيسية التي تتمكن بمجرد تلامسها بالجسم على إخفائه مثل الطائرة أو السيارة ومن ثم لا يراها الرادار ويعلن اختفاءها. كما تتمكن من صنع سيارة في حجم الحشرة وطائرة في حجم البعوضة وزجاج طارد للأتربة وغير موصل للحرارة وأيضا صناعة الأقمشة التي لا يخترقها الماء بالرغم من سهولة خروج العرق منها.

لذلك تهتم التقنية فائقة الصغر (التقنية النانوية أو ما يعرف بالنانوتكنولوجي) بتصنيع الآلات والأدوات و المواد إلى الدرجة النانوية وتطوير أساليب الانتاج والتحليل النانوي. لذلك يمكن مقارنة حجم الجسيم النانوي بحجم كرة القدم بالنسبة لحجم الكرة الأرضية. فكما بينا سابقاً بأصل كلمة نانو في اللغة اليونانية والتي تعني عالم الأقزام الخرافي المتناهي في الصغر، وعليه فان منتجات واستخدامات علم التقنية النانوية هو أشبه بعالم المخلوقات الخرافية غير قابلة للملاحظة بالعين المجردة، حيث تسري فيه قوانين ميكانيك وفيزياء الكم.

الطب وعلوم الحياة:

نجح أحد العلماء في إنشاء آلة نانومترية يمكنها إجراء حسابات منطقية بسيطة واستعملت في التحكم في ثماني آلات نانومترية أخرى وهي بذلك تحاكي واحدة من أبسط وظائف المخ وهي التحكم بالأطراف. هذه الآلة عرضها لا يتجاوز عرض شريط المادة الوراثية (الكروموسوم DNA)، وهذا قد يماثل أصغر مخ في العالم تقريباً.

أدت التجارب العلمية والتي استمرت لسنوات عديدة إلى الحصول على ما يعرف بالقنابل النانوية والتي تهدف إلى تفجير الخلايا السرطانية، حيث طور علماء من مركز السرطان (ميموريان كيتيرنج) الأمريكي قنابل مجهرية ذكية تخترق الخلايا السرطانية، وتفجرها من الداخل. كذلك استخدم العلماء بقيادة (ديفيد شينبيرج) التقنية النانوية في إنتاج قنابل فائقة الصغر والدقة، ومن ثَم استخدامها في قتل الخلايا السرطانية في فئران المختبر. وعمل العلماء على تحرير ذرات مشعة من عنصر (أكتينيوم -

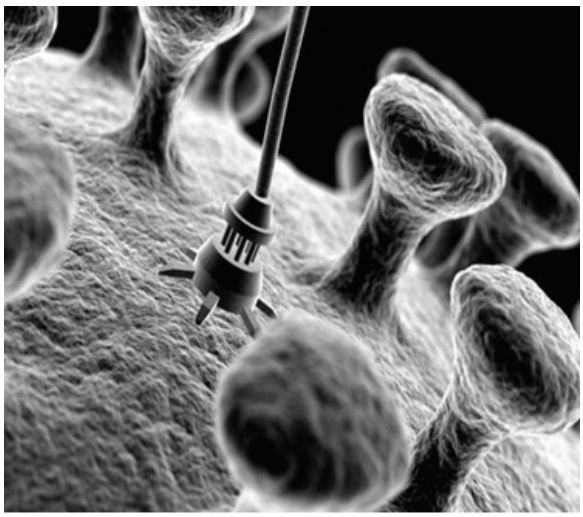

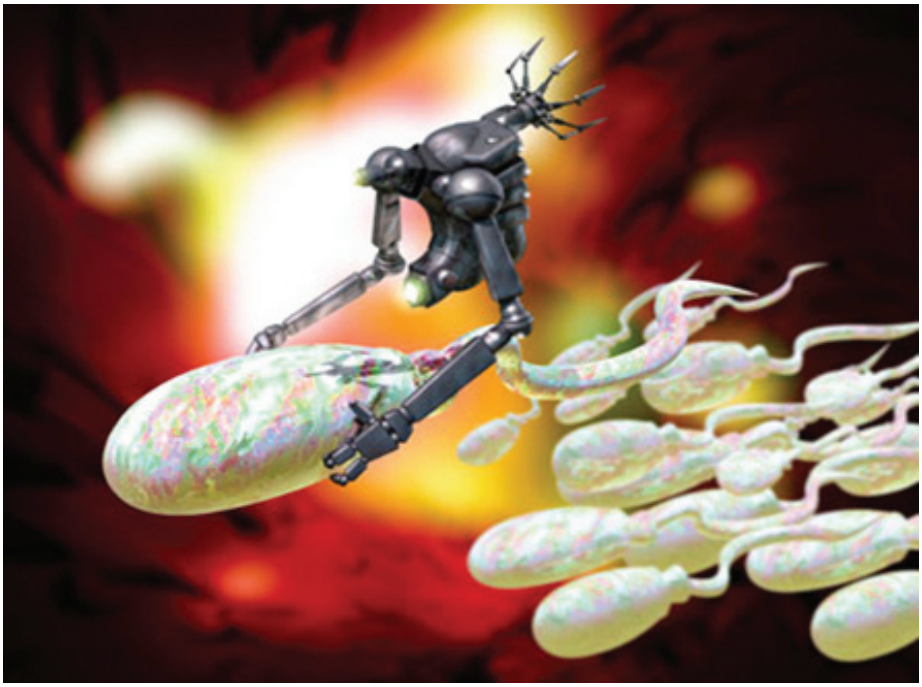

٢٢٥) ترتبط بنوع من الأجسام المضادة ضمن ما يعرف بـ(قفص جزيئي)، ونجحت هذه الذرات في اختراق الخلايا السرطانية ومن ثم في قتلها.

ومن التطبيقات المشهوره لهذا العلم هو ما توصلت إليه عالمة الأبحاث الأمريكية الدكتورة ناعومي في مجال علاج السرطان باستخدام كرات سيليكون مغلفه بطبقة من الذهب حجم الكرات ١٢٠ نانومتر لتدمير الخلايا السرطانية بمساعدة ليزر الأشعة تحت الحمراء فالميزه عن العلاج بالإشعاع و العلاج الكيمياوي ان في الحالتين يتم تدمير الخلايا المريضة والسليمة لكن الجديد أن كرات السيليكون هذه تدمر خلايا السرطان فقط.

وحديثاً طرحت أفكارا كبيرة تهتم بتطوير العلوم البيولوجية والطبية تعتمد بشكل أساس على علم البيونانوتكنولوجي لتصنيع (روبوت) بمقاييس وأبعاد نانومترية وتطويره بشكل يتلاءم والغرض المطلوب منه. ولا بد لنا هنا أن ننوه للقارئ الكريم أننا نتكلم ضمن مقاييس تقارب مقاييس الرواشح (الفيروسات)، أو أحجام بعض الإنزيمات (الانظيمات) المعقدة التركيب. وعلى سبيل المقارنة لمعرفة مدى ضآلة حجم الفيروس (وبالتالي الأبعاد النانو مترية). فمثلاً متوسط حجم فيروس مقارنة بمتوسط حجم البرغوت، يقارب مقارنة طول إنسان عادي طوله ١٧٥ سم بجبل يعادل ارتفاع جبل ايفرست مرتين (ارتفاع جبل ايفرست ٨٨٤٨ متر يعني مقارب من ٩ كيلو متر)، وهذا يعني ١٨ كيلومتر

مقارنة بـ ١٧٥ سم.

كما قامت الصين فعلاً بتصنيع روبوت بحجم كبسولة، يتم بلعها، لتقوم الكاميرا الداخلية لها بتصوير أجزاء الإنسان الداخلية، ويتم التحكم بها لاسلكياً، ويتم من خلالها معرفة وجود إصابات وموقعها بالتحديد. وتعكف حالياً على إمكانية العلاج باستخدام نفس الروبوت أو روبوت آخر.

علوم الهندسة والمعلوماتية والحاسوب:

الأمر الفريد في مقياس النانو (Nano Scale) هو أن معظم الخصائص الأساسية للمواد والآلات كالتوصيلية والصلابة ودرجة الانصهار تعتمد على الحجم (size dependant) بشكل لا مثيل له في أي مقياس آخر أكبر من النانو، فعلى سبيل المثال السلك أو الموصل النانوي الحجم لا يتبع بالضرورة قانون أوم (Ohm Law) الذي تربط معادلته التيار والجهد والمقاومة، فهو يعتمد على مبدأ تدفق الالكترونات في السلك كما تتدفق المياه في النهر، فالالكترونات لا تستطيع المرور عبر سلك يبلغ عرضه ذرة واحدة بأن تمر عبره إلكتروناً بعد الآخر. إن أخذ مقياس الحجم بالاعتبار بالإضافة إلى المبادئ الأساسية للكيمياء والفيزياء والكهرباء هو المفتاح إلى فهم علم النانو الواسع الاتجاهات.

ولكي ندرك الموضوع بشكل أفضل فلنتخيل شيئا في متناول أيدينا وعلى سبيل المثال مكعب طول ضلعه متر واحد ذا لون أصفر لامع ولنقطعه بأداة ما طولاً وعرضاً وارتفاعاً؛ سيكون لدينا ثمانية مكعبات طول ضلع الواحد منها ٥٠ سنتيمترا، وبمقارنة هذه المكعبات بالمكعب الأصلي نجد أنها ستحمل جميع خصائصه كاللون الأصفر اللامع و النعومة وجودة التوصيل ودرجة الانصهار وغيرها من الخصائص ماعدا القيمة النقدية بالطبع، ثم سنقوم بقطع واحد من هذه المكعبات إلى ثمانية مكعبات أخرى، و سيصبح طول ضلع الواحد منها ٢٥ سنتيمترا وستحمل نفس الخصائص بالطبع، وسنقوم بتكرار هذه العملية عدة مرات وسيصغر المقياس في كل مرة من السنتيمتر إلى المليمتر وصولاً إلى المايكرومتر، وبالاستعانة بمكبر مجهري وأداة قطع دقيقة سنجد أن الخواص ستبقى كما هي عليه وهذا واقع مجرب في الحياة العملية، فخصائص المادة على مقياس المايكرومتر فأكبر لاتعتمد على الحجم ((Not size dependant عندما نستمر بالقطع سنصل إلى ما أسميناه سابقا

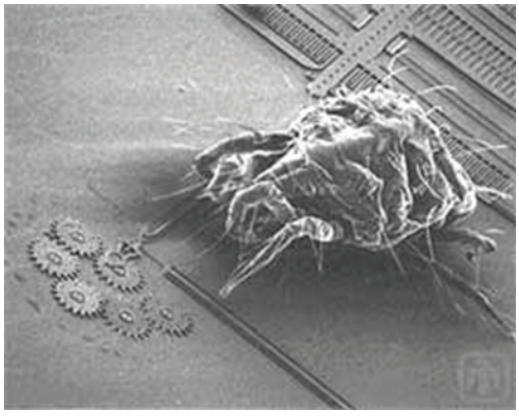

صورة رقم (١) ترس ذري (Nanogears)

مقياس النانو، وعند هذا الحجم ستتغير جميع خصائص المادة كلياً بما فيها اللون والخصائص الكيميائية، وسبب هذا التغير يعود إلى طبيعة التفاعلات بين الذرات المكونة لعنصر معين، ففي الحجم الكبير من الذهب مثلا لا توجد هذه التفاعلات في الغالب، ونستنتج من ذلك أن الذهب ذا الحجم النانوي سيقوم بعمل مغاير عن الذهب ذي الحجم الكبير. وكما ان اختلاف الترتيب يؤدي إلى اختلاف الخصائص فان الحجم من الماده يؤثر في الخصائص فإن الألومنيوم إذا أخذنا منه قطعة ٣٠ نانومتر يمكن لهذه القطعة أن تنفجر ويدرس بعض العلماء استخدامه في وقود الصواريخ.

في هذه الصورة رقم (١) نلاحظ وجود ترس لجزء من محرك تم إنتاجه بتقنية النانو بحجم حبيبة غبار وفوقه حشرة وهذا يوضح أن العلماء يستطيعون صنع آلات صغيرة بصغر حبيبة الغبار! (حجم حبيبة الغبار يوازي حجم ربع نقطة عادية على الصفحة) هذا المثال جزء فقط مما يمكن لهذه التكنولوجيا أن تحقق.

إن مساحة هذا المصنع - صورة رقم (٢) - ستبدو في غاية الغرابة بالنسبة للقرن الواحد والعشرين، ففي العشرين سنة القادمة ستصبح الآلات أصغر حجماً وربما الآلاف من تلك الأجهزة لن يزيد طولها عن ١٠ سنتمترات إذا ما وضعت بجانب بعضها البعض. هذه الآلات تسمى آلات النانو (Nanomachines) حيث تعتمد هذه الآلات على التحكم في ترتيب الذرات أو الجزيئات.

ومن الجدير بالذكر وعلى سبيل المقارنة بلغت مساحة شركة هنري فورد لتصنيع السيارات حوالي ٨٠٠٠ متر مربع في ولاية ميشيغان الأمريكية في القرن العشرين. استخدمت كل هذه المساحة لتصنيع السيارات على مسار طويل طوله ١٤٤ كيلومتر ليتخصص كل جزء من هذا المسار في مرحلة من مراحل تصنيع وتجميع السيارات. واعتبر هذا المصنع من أكثر مصانع السيارات كفاءة، حيث كان يمتلك أكبر مساحة مخصصة للعمل.

كما استطاع العلماء من الاستفادة من ترتيب ذرات الكربون في شكل خيط تتخطى صلابته صلابة مادة الكيفلار والتي تستخدم في صناعة القميص واللباس الواقي، وساهمت التقنية النانوية في تصنيع وإنتاج خلايا شمسية رخيصة الثمن على عكس المتعارف عليه بمدى ارتفاع أسعار هذه الخلايا فباستخدام النانو تكنولوجي يمكن

صورة رقم (٢) مصنع يحتوي على آلات النانو

بمجـرد خلـط الزجاج ومـواد كيميائية بمئـات الـدولارات وتغطيـة أي طبقة زجاج بهـذه المـاده يتكون لدينـا خلية شمسيه. كما تمكنت شـركة نانوسولار من تصنيع خلايا شمسيه مرنه بتغطيتها بطبقة من الجزيئات النانو الدقيقه. وقد تمكن العلماء والباحثين من تصنيع وإنتاج أنابيـب كربونيـة بمقاييس نانـو مترية والتي امكانات كبيـرة جداً في الصناعة والطب وغيرهـا من العلوم الهندسـية الآخرى.

وتسـعى مختبرات ومصانع شـركة IBM إلى دور ريادي في ما يعرف بتقنية التصغيـر ، حيث تهدف أبحاث شـركة IBM فـي مجال تكنولوجيـة التصغير إلى تصميم مكونات وهياكل ذرية جديدة على المستوى الجزيئي لتحسين تقنيات المعلومـات ، بالإضافـة إلى اكتشـاف وفهـم أساسـها العلمـي. ومـن خلال الإبداع وزيـادة تطوير تقنية التصغير أو النانو ، استطاع علماء شركة IBM وضع دراسـات لهذه التقنيات على مسـتوى النانـو أو التقنيـة القزميـة. وعلـى وجـه التحديـد ، فإن الأنابيـب الكربونية المصغرة ومسـبار الفحـص الـذي تم إنتاجه بمسـاعدة مـن مجهر (ميكروسكوب) الطاقة الذرية يقدم وعـداً بتمكين تحسـين الدوائـر ووسـائل تخزيـن البيانـات. ويـؤدي البحث في جزيئات النانـو إلى تطبيقات في الطـب الطبيعي بالإضافة إلـى التخزيـن علـى القرص الصلب للكمبيوتر. ومما يذكر أن الأبحاث في مجال تخزين المعلومات بواسـطة تكنولوجية النانو الميكانيكية، مثل مشـروع شـركة IBM الذي أطلق عليه (Millipede) سـوف تسـتمر في زيادة احتمـالات زيادة كثافـة التخزين الهوائي.

علوم البيئة والتربة:

لقد دخلت تقنية فائقة الصغر (التقنية النانوية) مجال علوم البيئة والتربة وأبدع العلمـاء والباحثيـن في التقنيـة النانوية أيما إبداع فقد عملوا شـجرة اصطناعية تحل الأزمة البيئية وتنقّـي التربة بتقنية (نانوتكنولوجـي). فهـي في الأسـاس شـجرة اصطناعية من ألياف، ومع ذلك تسـتطيع أن تـؤدي مهمـات الشـجر، خصوصاً امتصاص المياه والعناصر من التربة ورشحها خارجاً. فقد أعلنت عنها جامعة (كورنيل) الأميركية التي أنشـأت فرعاً لها في (واحة العلوم) في دولة قطر. واسـتطراداً لما ذكر في أعـلاه، لربما حملت هذه الشجرة الاصطناعية الأولى

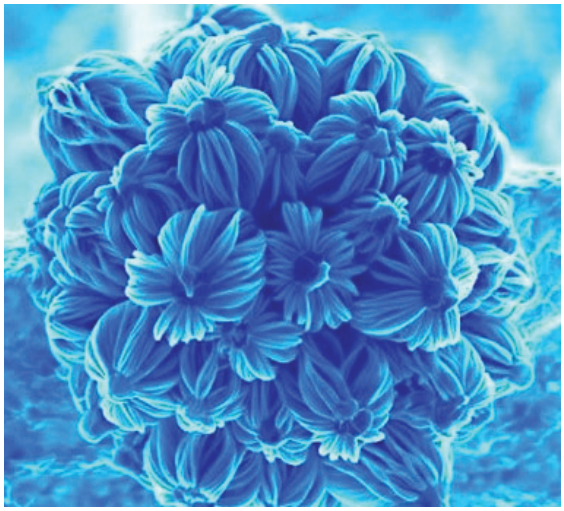

بشارة بإمكان (استنباتها) في مناطق من الصحراء تكمن المياه في أعماقها بحيث يصعب استخراجها بالحفر. وفي المقابل من الممكن مدّ جذور هذه الشجرة إلى تلك المياه الغائرة، بحيث ترتفع تلقائياً فتصل إلى الأوراق، وتنشر طراوتها في الجو. ويبدو أن لحظة تحقيق الحلم العلمي بـ(زراعة اصطناعية) حانت، مع إعلان جامعة (كورنيل) أن البروفسور أبراهام ستروك توصّل إلى صنع شجرة اصطناعية تتكون من (ورقتين) بحجم اليد، تتكوّن أليافها بصورة أساسية من لدائن مرنة قادرة على امتصاص الماء ورشحه، تشبه إلى حدّ ما المواد المستعملة في صنع الأنواع المتطورة من العدسات اللاصقة. وجاء الإنجاز العلمي في سياق تحضير مشروع رسالة دكتوراه بإشراف ستروك.

وتمثّلت الخطوة الأبرز في تطويع تلك اللدائن في أغشية رقيقة تُمرّر الماء دخولاً وخروجاً، كما تستطيع (شفط) الماء من الأسفل إلى الأعلى، فيصل إلى أطراف أغصانها الوارفة. واللافت أن ستروك استخدم التقنيات النانوية (ونذكر هنا أشياء تتعامل مع أشياء بحجم واحد من مليون من المليمتر وأصغر) لصنع أنابيب دقيقة تشبه الأوعية التي تحمل النسغ الطبيعي إلى الشجر. وبيّن ستروك أن نجاح شجرته يبرهن أن امتصاص الشجر طبيعياً للماء ورشحه، يشكّل عملية فيزيائية محضة، لا تتدخل فيها أي عملية بيولوجية، ولا تحتاج إلى الطاقة. وفي منحى علمي بحت، يعتبر صنع أنابيب تستطيع رفع المياه عالياً ولمسافات طويلة من دون استهلاك الطاقة، إنجازاً علمياً كبيراً، بل إنها المرة الأولى التي استطاع العلماء تحقيق هذا الأمر. Nano flower bouquet.

وأوضحت الجامعة أن الشجر الاصطناعي يمكنه أن يقدم حلولاً لمسائل تتعلق بانتقال الحرارة وبالتالي تطوير علم الديناميكية الحرارية، مثل تدوير المياه في المباني الضخمة للتبريد، ما يخفض استهلاك الطاقة والوقود الذي يستخدم في رفع الماء وتدويره. كذلك بيّنت (جامعة كورنيل) أن من المستطاع استعمال الأنابيب (النانوية) التي صنعها

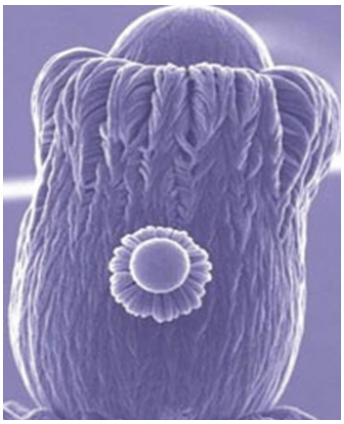

بـــروك فـــي تبريـــد الحواســـيب، ما يســـاهم في تبديد الســـخونة الزائدة في الكومبيوتر الذي يُبرد بواســـطة مراوح صغيرة. إذاً فهل تحمل هذه الشجرة بداية حلّ يساهم في التغلّب على الأزمة البيئية التي يتخبـــط فيها العالم حاليـــاً وتتمثل فـــي ارتفـــاع حـــرارة الأرض والتلـــوث والتصحّر؟

وفي إنجاز لاحـــق يؤكد فيه الباحثين دور التقنيـــة النانويـــة ليـــس فـــي علوم البيئة والزراعة فقط وإنما امتد ليرتبط بالفنون حيث نجح علماء فيزيائيون في بريطانيا، في زراعة أوّل أزهار وأشجار مجهرية، في ما عـــده بعضهم مثالاً على إمكانية التصالح بين العلم والفن.

إذ تُعتبر مجموعة من الصور المجهرية الفوتوغرافية (لأزهار وأشجار) صغيرة جـــداً لا يتجاوز حجمهـــا واحد على ألف مـــن عرض شـــعرة الإنســـان؛ مـــن بين الصور الأكثر إثارة للدهشة التي يبتكرها العلماء اليوم في مجال علم التكنولوجيا المجهرية في جامعة كمبردج، ونشـــرت في مجلة (نانوتكنولوجي) التي يصدرها معهـــد الفيزياء مـــن قبل إحـــدى طلبة الدكتـــوراه. وقـــد أطلقـــت على بعض أفضـــل صورهـــا أســـماء الباقـــة المجهريـــة، والأشـــجار المجهريـــة والأزهـــار المجهريـــة بســـبب تماثلهـــا الغريب مع بنى عضويـــة معروفة مثـــل الرؤيس والشـــجرة الصغيـــرة الناميـــة. وهي تعمـــل على ابتـــكار أنواع جديدة من المواد مبنية على التكنولوجيا المجهريـــة وليســـت هـــذه (الأزهـــار) ســـوى مثالٍ عـــن هذه المـــواد الجديدة.

Nano tree and flower

فالأسلاك مجهرية الحجم مثلاً، التي لا تتجاوز واحد على ألف من قطر شعرة الإنسان، المصنوعة من مادة السيليكون الكربوني (كربيد السيليكون)، تُنتج من قطيرات لمعدن ســـائل (الجاليوم) على سطح سيليكوني. وهي تنمو كغاز يحوي دفق من الميثين فوق الســـطح. ويتفاعل الغـــاز على ســـطح القطيـــرات ويتركّز ليشكّل الأسلاك. ومن خلال تغيير درجة حرارة عملية النمو وضغطها؛ يمكن دمج الأسلاك بصورة طبيعية ببعضها بعضاً، لتؤلّـــف مجموعـــة مـــن البنـــى الجديدة تتضمّـــن تلك المواد الشـــبيهة بالأزهار. ويقـــول البروفيســـور مـــارك ويلنـــد، المســـؤول عن مختبر العلـــوم المجهرية في كمبردج، والمشرف على عمل طالبة الدكتـــوراه جيم واي هو (ســـيكون لهذه البنى الفريدة التي تظهر في هذه الصور مجموعة مثيرة من التطبيقات. ومن بين

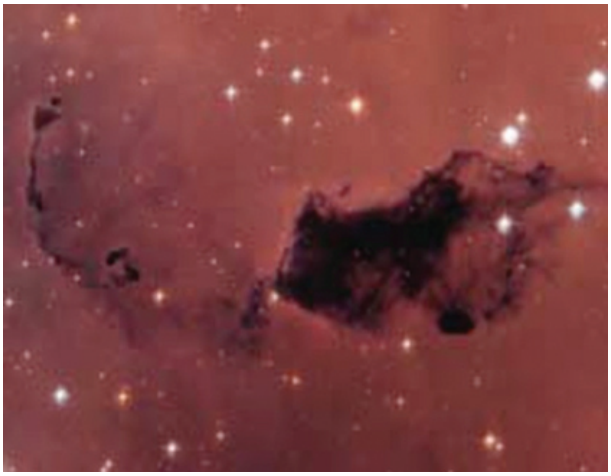

هــذه التطبيقــات التي يتمّ استكشــافها حالياً، اســتعمال هذه الأســلاك كطلاء صــادّ للمــاء وكقاعــدة لنــوع جديد من الخلايا الشمسية).

وأضــاف ويلند (لقــد بيّنا حتى الآن عملها كطلاء، إذ أنّ قطرات الماء تنزلق عــن هذه الســطوح متــى كانــت مائلة، حتــى لو لم تــزد زاويــة انحدارها على ٥ درجــات. ويأتي ذلك كنتيجة مباشــرة لقدرة هذه السطوح ذات البنى المجهرية على صدّ المياه)، حسب توضيحه.

أمــا الدكتور بــول دانيلســن، مدير وحــدة التعــاون والتواصــل فــي معهد الفيزياء فيقول، (يمكــن أن يكون العلم جميلاً. فهذه الصور تظهر نتائج متطوّرة جــداً للبحوث فــي مجــال التكنولوجيا المجهرية، لكنها في الوقت نفسه صور رائعة الجمال بحــدّ ذاتها)، ويخلص إلى القول: (ربما يشــير ذلك إلــى أنّ العلم والفن لا يقعا على طرفي نقيض).

٥- المخاطر المحتملة لعلم النانوتكنولوجي:

يعتبــر عصر التلفزيــون والكمبيوتر والطائــرة مــن أهــم مظاهــر التطــور والتحضــر فــي القرن العشــرين ولكن عصر التقنية النانوية هو المستقبل الذي ينتظرنا بكل ما يحمل من تكنولوجيا لها ميزاتهــا ومخاطرهــا. وفــي خبر لافت للنظر، حملت الصحف نبأ صغيراً، ولكنه مثير، عن اســتقالة بيل جوي، مهندس الكومبيوتــر الشــهير من شــركة (صن مايكروسيستمز Sun Microsystems)، الذي أعلن أنه يريد أن يتفرغ لأمور (أكثر أهمية) من الكومبيوتر والشبكة الدولية (الانترنت). ولعل مُتابِعي جوي حدســوا ان الرجل لــم يعد يطيق صبــراً على ما يراه (تهديداً بزوال الحضارة الإنســانية برمتها وبفناء الجنس البشــري كاملاً)! ومــن هذا المنطلق علينــا أن نتفكر ملياً وبدون كلل حول مخاطر كل تقنية جديدة تدخل حياتنا ومن كافة جوانبها وأوســع أبوابها، وليس فقط الاهتمام بما تقدمه لنــا هذه التقنيــة النانوية مــن امتيازات وتطورات وانجازات.

فــآراء الرجــل معروفــة وذائعــة وهو يــرى أن الثالــوث المُمَثَّــل بعلوم الحواســيب (الكومبيوتــر) والهندســة الوراثيــة (Genetic engineering) ونانوتكنولوجي (Nanotechnology) يســير بالإنســان صــوب فنــاء محتم! وببســاطة، يرى أن كلاً من الثلاثة يشبه علم القنبلة الذرية في قدرته على ابتكار مــا يفني البشــر. واســتنادا إلــى آرائه وقوله، تمثل العلوم الثلاثة (أسلحة دمار بالمعرفة). تقــدر الوراثة على التلاعب بجينــات الإنســان والطبيعــة إلــى حد الخطورة وتســتطيع علوم الحواســيب إنتاج روبوتات متطــورة وأكثر ذكاء من الإنســان تحل محله تدريجياً ثم (تطرده) مــن على وجــه الأرض، وتمثــل التقنية النانوية العلم الأشــد قربــاً إلى صنع ما يفني البشــرية وحضارتهــا، وربما في طرفة عين!

وعــوداً علــى بــدء يتســاءل عالــم الرياضيــات الأميركي أريك دريكســلر: هل أصبح ثقب الأوزون مهدداً للأرض؟ لنرســل إليــه الرواصــف (المجمعــات) لاصلاحه. لكن ماذا لو حدث خلل ما لعمل الرواصــف أو بالأحــرى كومبيوتراتها؟

عندهـا بدل إصلاح ثقـب الأوزون ربما زادت الرواصـف في خرابه. ربما أزالت كل درع الأوزون الـذي يقـي الأرض من تدفق الإشعاعات المميتة. ما الذي يحدث عندها؟ في رمشـة عيـن، يفنى كل ذي حياة على وجـه الأرض، وتنتهي حضارة الإنسان كلها! هذا ما يحذر منه دريكسلر في كتابه سابق الذكر. ذلك احد المخاطر التي تؤرق دوماً بيل جوي. هل يمكن درء هـذا الخطر؟ الجواب رهن المسـتقبل. وعلينا أن نتذكـر أن الخطر يتوقف على إرادتنـا في ميزان العيش بسـلام أو نقع تحت تأثير العوامل السياسية والاقتصادية وغيرها من عوامل إحكام السيطرة التي تتبعها الدول الأكثر تقدماً في العالم.

٦- التوجهات المستقبلية لعلم التقنية النانوية:

تعتمد التقنية النانوية على التشـبيك والتنسـيق بيـن العلـوم البيولوجيـة والفيزيائيـة والكيميائيـة والميكانيكيـة والإلكترونيـة وعلـم المـواد وتقنيـة المعلومات وذلك من أجل دراسة الهياكل البنائية للمـواد الحية وغير الحية، وكما حدث في القرن العشـرين من تبدل في حياة الشـعوب كنتيجة لثورة المعلومات والاتصالات بدأت علائـم تبدل جذري جديد بالظهور بفعـل التطور الهائل في مجال التكنولوجيـا النانوية والبيولوجية والنانوبيولوجية والميكروية والبصرية. إن الطلب علـى المنتجات النانوية آخذاً بالازدياد والنمو، فقد بلغ معدل الإنفاق العالمي على المجال النانوي حوالي ٥٤ مليار يورو في عام ٢٠٠١ ، هذا وتشـير التوقعات بأن هذا المبلغ سوف يتضاعف أربعة مرات حتى عام ٢٠١٠.

لقد تنبّأ العلماء بمسـتقبل واعد لهذه التقنية، التي بدأت بشـكل حقيقي عام ١٩٩٠، والتـي باتـت الـدول الصناعية تضخ الملايين مـن الدولارات من أجل تطويرها، وقد وصل تمويل اليابان لدعم بحوث (الناتو تكنولوجي) لهذا العام إلى بليـون دولار، أما في الولايات المتحدة فهناك أربعـة آلاف عالم أميركي لديهم المقـدرة على العمل في هـذا المجال، وتقدّر الميزانية الأميركية المقدّمة لهذا العلم بتريليون دولار حتى عام ٢٠١٥.

ويخشى بعض العلماء من استخدام مثل هذه التقنيات لأغراض لا إنسانية. وبحسب العالم نبيل جوي (هي تقنية مبيدة، عديدة المخاطـر يمكـن أن تؤدّي لظهـور (جود الرمـادي) وهـو عبـارة عن آلـة متقدّمة تكنولوجيـاً، دقيقة الحجم، تسـتطيع أن تستنسـخ نفسـها، كمـا تفعـل الكائنات الحيّـة الدقيقة، وتتحـوّل إلى جحافل من التجمّعات الآلية الصغيرة، تقتلع أي شيء فـي طريقهـا، وتبيـد كل أشـكال الحياة على وجـه الأرض؛ ويتوقع المراقبون أن تُشـعل التقنية النانوية سلسلة من الثورات الصناعية خلال العقديـن القادمين حيث ستؤثر في الحياة بشكل كبير.

ونؤكد هنا حـول المبالغ التي تبذلها الـدول الصناعية في أوروبـا واليابان و الولايات المتحدة من ملايين الدولارات مـن اجل تطويـر تطبيقـات تعتمد على التقنية النانوية. ففي العام ٢٠٠١ خصصت الولايات المتحـدة أكثر من ٤٩٧ مليون دولار للتقنيـة النانوية واسـتخداماتها، هـذا وقد تضاعـف المبلـغ المخصص لأبحـاث النانوتكنولوجي فـي الأعوام

اللاحقة، كما ان شركات الحاسوب الكبرى المتهمة بالبحث العلمي، مثل (هيولت باكارد HP) و (آي بي أم IBM) و(ثري أم 3M) تقوم بتخصيص ما يصل إلى ثلثي المبالغ المخصصة للبحوث العلمية في حقل التقنية النانوية.

وقد اهتمت عدة مجالات علمية بأبحاث التقنية النانوية وطرحت على صفحاتها عدة تقارير حول نجاح العلماء في التوصل لأولى المنتجات التطبيقية المعتمدة على التقنية النانوية، ولقد بات في الإمكان وصولها للأسواق في غضون السنوات القليلة القادمة وسوف نعرض بعض من هذه التطبيقات وهي على النحو التالي:

١ـ نجح الباحثون الألمان و اليابانيون في إنتاج مسحوق نانوي عبارة عن ذرات ذهبية دقيقة للغاية وذلك لأجل تنظيف دورات المياه دون بذل جهد.

٢ـ معالجة المياه الآسنة والنفايات السائلة الناتجة عن المصانع و ذلك عن طريق ضخ جزيئات نانوية عبر التربة لتصل بذلك إلى أماكن توجد النفايات بغية هدمها وتحويلها إلى مواد غير ضارة عبر تفاعلات كيميائية خاصة.

٣ـ تمكن علماء ألمان من اكتشاف وسيلة نانوية جديدة بغية حفظ المخطوطات القديمة وحمايتها من التلف وتأثير العوامل الخارجية.

٤ـ في عالم الميكانيك الهندسي حقق الباحثون نتائج مذهلة في مجال السيطرة على عمليات الاهتراء والصدأ والتآكل الميكانيكي والكيميائي، وكذلك في مجال التغلب على الاحتكاك الميكانيكي حيث أنه سيتم الاستغناء عن مواد التزييت والتشحيم، وهذا ما يساعد على إطالة عمر الآلة وزيادة كفاءتها.

٥ـ في مجال صناعة السيارات تم استخدام طرق ومواد نانوية جديدة في مجالات الطلاء والتغليف والعزل والمساهمة في تخفيف وزن السيارات وزيادة صلادتها وبالتالي تخفيض مصروفها من الوقود. وهناك العديد من الأبحاث في مجال تطوير وتصنيع عجلات السيارات والتي ستكون لها خاصية التلاؤم الأوتوماتيكي مع ظروف الطقس وطبيعة الأرض والعوامل الخارجية الأخرى.

٦ـ تمكن الباحثون الألمان من تخزين المعلومات في ذرات قليلة وقراءتها، وإذا ما استمر النجاح في هذا الاتجاه فإنه سيصبح قريباً من الممكن تخزين كل ما تم إنتاجه من الأدب العالمي على رقاقة بحجم الطابع البريدي.

٧ـ لقد فتحت التقنية النانوية آفاقاً جديدة في المجال الطبي والتداخل الجراحي، فهناك دراسات عديدة من أجل تطوير روبوتات نانوية والتي يمكن إرسالها إلى الجسد للتعرف على الخلايا المريضة وترميمها وكذلك للتعرف على محرضات الأمراض ومعالجة الأمراض المستعصية والأورام الخبيثة.

٨ـ في عالم الأدوية توصل العلماء الأمريكيون إلى طريقة علمية جديدة لمكافحة البكتيريا القاتلة التي طورت مقاومة ضد المضادات الحيوية، والبكتريا المحورة وراثيا المستخدمة عادة في الحرب البيولوجية. ويعتبر هذا النوع الجديد من الأدوية الذكية بديل غير مسبوق للمضادات الحيوية، ويساعد

على حل مشكلة مقاومة هذه الأنواع البكتيرية للأدوية. هذه النوع الجديد من الأدوية التي تعرف بالنانوبيوتيكس (Nanobiotics) من باكورة الإنتاج الطبي لعلم النانوتكنولوجي.

٩- في المجال العسكري تم في الولايات المتحدة الامريكية وبمبلغ تم تقديره بأكثر من ٥٠ مليون دولار أمريكي تأسيس معهد البحوث التكنونانوية العسكرية (Institute for Soldier Nanotechnologies; ISN)، بحيث أن جندي المستقبل سوف يرتدي بزة عسكرية ذكية مصنوع من مواد تكنونانوية ومجهزة كومبيوتريا والتي ستقيه من الحرارة و البرودة والإشعاع و موجات الضغط وفي الوقت نفسه خفيفة الوزن ومريحة في التنقل. هناك تجارب ودراسات حول إمكانية تلاؤم الجنود مع المحيط الذي يتعاملون معه مثل إمكانيات القفز عبر جدران عالية وإمكانية المعالجة الذاتية للجروح.

إن الأمثلة التي تم طرحها فيما سبق لا تشكل سوى غيض من فيض تطبيقات التقنية النانوية والتي بدأت برسم ملامح المستقبل القادم. وما زالت تتسرب من وقت لآخر، معلومات عن مشروعات طموحة تجرى في عدد من مراكز البحث الدولية، منها فكرة لبناء محركات في حجم الخلية البكتيرية، تدير آلات مجهرية أو (فوق مجهرية)، قادرة على التقاط جزيئات من المواد في البيئة المحيطة، ومعالجتها، تخلصاً من جوانب غير مرغوب فيها، أو تعظيماً للفائدة في جوانب أخرى، ومن المتوقع أن تزيد الاستثمارات في هذا الحقل العلمي الفريد الذي سيحدث ثورة صناعية جديدة في المستقبل القريب.

٧- الاستنتاجات:

١- تأسيس مركز نانوتكنولوجي يهدف إلى إجراء أبحاث ذات صلة وأثر على تطور الصناعة في مجالات الطب وعلوم الحياة والطاقة الشمسية وتحلية المياه، واستخدام تكنولوجيا المعلومات وغيرها من المجالات العلمية ذات الصلة.

٢- توفير أجيال من الباحثين المتخصصين في التكنولوجيا فائقة الصغر لخدمة أهداف البحث العلمي والتطوير، وتنمية المهارات المطلوبة في شتى مجالات الحياة المختلفة، والتي تتجه نحو الخدمات العالمية.

٣- يسمح تأسيس هكذا مراكز علمية وبحثية متقدمة للعقول المهاجرة بالعودة إلى أرض الوطن للعمل فى بلدها للإبداع والابتكار، وبالتالي تطوير العلوم والاقتصاد والصناعة.

٤- ازدياد توجه الحكومة والمؤسسات العلمية إلى الريادة في هذا المجال الحيوي والإبداعي بما يؤمن مستقبل أفضل للبلاد والمجتمع بشكل عام. والاطلاع على الأبحاث التي أنجزت في مختلف بقاع العالم الواسعة لمعرفة ما توصلت إليه آخر الأبحاث في هذا المجال.

وأخيراً وليس آخراً. . فهل سيقلب علم التقنية النانوية والذرة الأمور رأسا على عقب، وهو من العجائب فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم... نفعنا الله بهذا العلم وانجازاته ومنتجاته وكفانا شره ■

الكتاب الإلكتروني

بين إيجابياته وسلبياته

• هاشم حسين ناصر المحنك
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

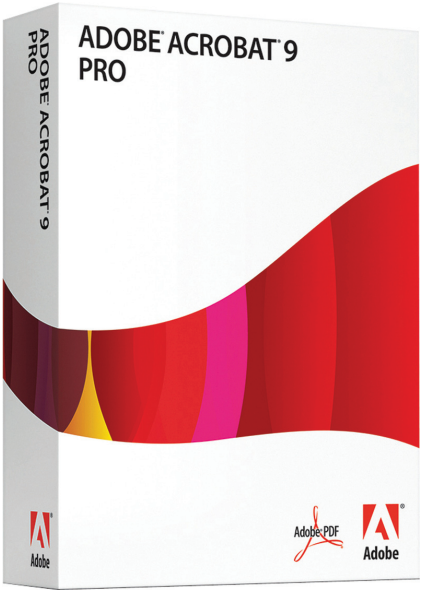

ينابيع

تبدأ نهضة الأمم من خط شروع مواكبة كل جديد وتكييفه وفق ما يتطلبه وضعها الراهن المتطلع لمستقبل متواصل البناء الأفقي والعمودي، لكل اتجاهات التطور والتنمية، امتداداً من البنى التحتية حتى الفوقية منها..

والتعليم والتعلم قوّة الموارد البشرية ودرعها الحصين في الكسب المعرفي وقيام روح البحث العلمي والدراسة والتطبيق الميداني للبناء والتقدم، وكان وما زال وسيبقى الكتاب، محوره الاستراتيجي الحيوي والفاعل، والخزين الفكري والعلمي..

حيث بدأت خطوط الكتاب الأولى،

حينما بدأ التدوين وتراكم النتاج الفكري، من صفحاته الأولى المتمثلة بالنقش على الحجر والألواح الطينية، ومروراً بالكتابة على رقعة جلد الحيوان، حتى الانتهاء بصناعة الورق والطباعة بمختلف تطوراتها، وتطور صناعة الكتاب الورقي والتفنن به، حتى ظهور الحاسوب وتطوره، وابتكار الكتاب الإلكتروني، ليكون جنباً إلى جنب في ركب الحضارة والثقافة والعلم مع الكتاب الورقي..

ويمكن إجمال أهم الفوارق بين الكتاب الإلكتروني والكتاب الورقي بما يلي:

١- قابلية نقل الكتاب الإلكتروني جملة وتفصيلاً، وبأعداد كبيرة ومتنوعة وموسوعية، وهو ما يتعذر في الكتاب الورقي، ولا يمكننا نقلها إلاّ بكميات محدودة..

٢- يمكن نسخ الكتاب الإلكتروني بصور سريعة وقياسية وبكميات كبيرة، وهو ما يتعذر في الكتاب الورقي وما يتطلبه من مراحل عمليات صناعة الكتاب حتى الوصول إلى يد المقتني له..

٣- تكاليف الكتاب الإلكتروني أقل بكثير من الكتاب الورقي، وأسعاره زهيدة جداً، ويمكن شراء آلاف الكتب الإلكترونية على القرص (CD) أو (DVD)، ويتعذر اقتصادياً ذلك في شراء الكتاب الورقي وما يترتب عليه من تكاليف..

٤- ضمن قائمة الكتاب الإلكتروني، يمكن الوصول إلى المبتغى بأسرع وأبسط من استخدام قائمة الكتب الورقية، وذلك عن طريق البحث الآلي.. وهو ما ينطبق للحصول على المعلومة المطلوب بأسرع وقت ودون عناء يذكر..

٥- يمكن أن يتم في غالبية الكتب الإلكترونية، طريقة الاقتباس دون عناء الكتابة والتعرض للأخطاء..

٦- يمكن القراءة في الغالب للكتاب الإلكتروني بصورة أسرع وأفضل من الكتب الورقية..

٧- من خلال الكتاب الإلكتروني، يمكن الاستغناء عن الورق وما يخلقه من تضخم كبير في الخزين الورقي..

٨- يمكن أن يُبعد الكتاب الإلكتروني تلوث البيئة من تلف الورق، وبهذا هو صديق البيئة..

٩- لا تحتاج المكتبة الافتراضية إلى مساحة كبيرة كما يتطلبها خزن الكتاب الورقي وشغله للمساحة الواسعة..

١٠- انتشار الأفكار والمعلومات والبيانات بشكل أسرع، وعلى مستوى عالمي في نشر الكتاب الكترونيا، فلا حدود ولا ممنوعات بتوافر الانترنت والأقراص المضغوطة وغيرها من أساليب نقل المعلومة والخزن..

والآنف الذكر يبين جوانب من إيجابيات الكتاب الإلكتروني، لكنه لا يخلو من سلبيات، التي يمكن بيان جوانب منها:

١- للإفادة من الكتاب الإلكتروني، لابدّ من معرفة استخدام الأجهزة المطلوبة، التي تسهم في عرض المعلومة، وبه تحتاج إلى دورات تعليمية - تأهيلية، وكسب خبرة وفق ما يتطلبه الأمر..

٢- الكتاب الإلكتروني يحتاج إلى وسائل عرض وقت الحاجة، فبدونها لا يمكن إيصال المعلومة..

٣- الكتاب الإلكتروني يحتاج إلى الصيانة والتخزين والحماية من المؤثرات المختلفة، وصيانة وحماية المخزون فيه، وصيانة وحماية الأجهزة والأدوات

المستخدمة لعرض ما تحمله من معلومات وبيانات..

٤- معـرّض الكتـاب الإلكترونـي إلى القرصنة والتشـويه والتدمير الفيروسي، وخصوصـاً حينمـا يتم إيصالـه بخطوط الانترنت دون حماية أجهزة الحاسوب..

ومـا تقدّم يوضـح مجموعـة الفوارق بين إيجابيات وسـلبيات الكتـاب الورقي والكتـاب الإلكتروني، ولا بـدّ من وجود الجهة الداعمـة إدارياً وماليـاً، وتهيئة كل المتطلبات لنجاح نشر الكتاب الإلكتروني، وقيام دور النشـر الإلكترونـي في الدول النامية، أسـوة بالدولة المتقدمة، والإفادة من الدول الضليعة بهذا المنحى، لكسـب الخبـرة، وبناء نظـام متكامـل يجمع بين فاعلية إيجابية وميزات الكتاب الإلكتروني والورقـي، ليكونا جنباً إلـى جنب، لرفد الباحث والطالب وكل الجهات المسـتفيد منهمـا، وبنـاء قاعـدة على أسـس متينة نجمع بين مكتبة الكتـاب الورقي والمكتبة الافتراضيـة أو الإلكترونيـة، وما يواصل دعـم ذلك مـن توافر خطـوط الانترنت للجميع..

ويمكن أن تكون قوّة إضافية للمؤسسات التعليمية والثقافية، حينما تتبني مشروعي ؛ نشـر الكتاب الإلكتروني ونشر الكتاب الورقـي، وخصوصاً حينمـا تنهض بذلك الجامعات والمعاهد، وبالتعاون بين وزارة التعليم العالي ووزارة التربية ووزارة العلوم والتكنولوجيـا، مـع الانفتـاح على جميع الوزارات الأخـر، وهو ما نتمناه أن يكون عراقنـا الحبيـب رائد وقائد هـذه الفكرة وتنميتها وتطويرها، ليكون مركز الإشعاع الحضاري والثقافي.. ■

المصطلحات المكانية في دعاء السمات

حيدر المالكي •

ينابيع

لم يجتمع تراث من الأدعية بضخامته وغزارته مثلما اجتمع عند الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد احتوت هذا الإرث كتبهم التي انفرد منها عدد غير قليل بالأدعية المنقولة عن أئمة الهدى عليهم السلام الذين جعلوا الدعاء وسيلة من وسائل التقرب إلى الله (عز وجل)، متخذين من قوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم) شعاراً للانطلاق نحو الاتصال بالبارئ الذي لا يترك من لجأ إليه ولا يصرف من طرق باب رجائه.

وقد صنفت الأدعية من حيث الوقت إلى دعاء يقرأ في مطلق الأوقات، وآخر يقرأ في وقت معين على إننا لا نعلم علة التوقيت ولكننا ندرك ونلمس تأثير الدعاء في النفس إن قرأ في وقته المعين، ومن هذه الأدعية دعاء (السِمات) الذي يُستحب أن يُقرأ في آخر ساعة من نهار الجمعة، وقد لا يفوت الكثير من المؤمنين المواظبة على قراءته والتدبر في معانيه، ولعل منهم من يتساءل عما ورد فيه من مصطلحات مكانية غامضة محاولاً معرفتها، لذا سنستعرض هذه المصطلحات الخاصة بالأماكن ولو بصورة مبسطة بعد أن نرد تعريفاً مختصراً لهذا الدعاء.

اسم الدعاء السمات بكسر السين، جمع سمة وهي العلَامة كأن عليه علامات الإجابة[1] ويسمى أيضاً بدعاء الشبّور على وزن (تنوّر) وهي لفظة عبرانية تعني البوق أو القرن المثقوب الذي ينفخ فيه، والشّبور عند اليهود كالبوق عند العرب[2].

روي هذا الدعاء عن أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري السفير الثاني للإمام المنتظر (عجل الله فرجه) الذي رواه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام بواسطة محمد بن راشد عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر الجعفي، حيث ذكر الإمام الباقر عليه السلام فضل هذا الدعاء قائلاً: (لو يعلم الناس ما نعلمه من علم هذه المسائل وعظم شأنها عند الله وسرعة إجابة الله لصاحبها مع ما ادخر له من حسن الثواب لاقتتلوا عليها بالسيوف، فإن الله يختص برحمته من يشاء ثم قال عليه السلام: أما إني لو حلفت لبررت إن الاسم الأعظم قد ذكر فيها فإن دعوتم فاجتهدوا في الدعاء بالباقي وارفضوا الفاني فإن ما عند الله خير وأبقى... ثم قال عليه السلام: هذا هو من مكنون العلم ومخزون المسائل المجابة عند الله تعالى)[3].

المصطلحات المكانية:

١ـ تابوت الشهادة: عن الإمام الباقر عليه السلام (هذا التابوت هو الذي أنزله الله تعالى على أم موسى فوضعته فيه فألقته في البحر، فلما حضرت موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه وصيه يوشع بن نون فلم يزل بنو إسرائيل يتبركون به وهم في عز وشرف حتى استخفوا به فكانت الصبيان تلعب به فرفعه الله تعالى عنهم)[4].

٢ـ طور سيناء: سينا اسم موضع بالشام

طور سيناء

مضاف إليه الطور فيقال طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران أي محل نزول الوحي على موسى عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر[٥]، ولا نعلم وجه الشبه بين طور سيناء الموضع الموجود في الشام وصحراء سيناء الموجودة في مصر وهل طور سيناء يعد امتداداً لصحراء سيناء المصرية أم إن هذا التشابه في كلمة (سيناء) فقط ؟

٣- جبل حوريث: وقيل حوريثا وهو جبل بأرض الشام خاطب الله جل جلاله موسى عليه السلام في أول خطابه. وقيل: إنه قد حمل إليه تابوت النبي يوسف عليه السلام[٦].

٤- الوادي المقدس: قرب بيت المقدس بفلسطين، وهو واد طيب كثير الزيتون قيل إن موسى قبض فيه[٧]، وهذا الوادي من البقعة المباركة التي باركها الله تعالى وقد حدد مكانها في جانب الطور الأيمن من الشجرة والمراد بالشجرة تلك التي رأى فيها موسى برهان ربه قال ابن عباس (وجد النار على شجرة عنّاب وقيل من العوسج وقيل من العليق تتوقد بالضياء مع شدة خضرة الشجرة من أسفلها إلى أعلاها، ولم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة ورأى نوراً عظيماً وسمع تسبيح الملائكة فعلم أنه أمر عظيم)[٨].

٥- قبة الرمان (الزمان): الخباء المحضر ويسميها أهل التوراة الخيمة المقدسة وقدس الأقداس[٩]، وكانت محل تابوت الشهادة ومعبدهم وقد بناها موسى وهارون في التيه بأمره تعالى فكانا يتعبدان فيها[١٠] وكان موسى لما حضرته الوفاة أمره الله أن يدخل يوشع بن نون إلى قبة الزمان فيقدس عليه ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته ويوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل.

٦- بحر سوف: وهو البحر الأحمر اليوم وكان يدعى قديماً بـ (بحر القلزم)، ويقال أيضاً للبحر الأحمر بالعبرانية أيضاً (يم سوف) ومعناه بحر بعيد القعر وكأن لفظة (سوف) تدل على المسافة والبعد (العمق)[١١] وقد سمي في لفظة أخرى

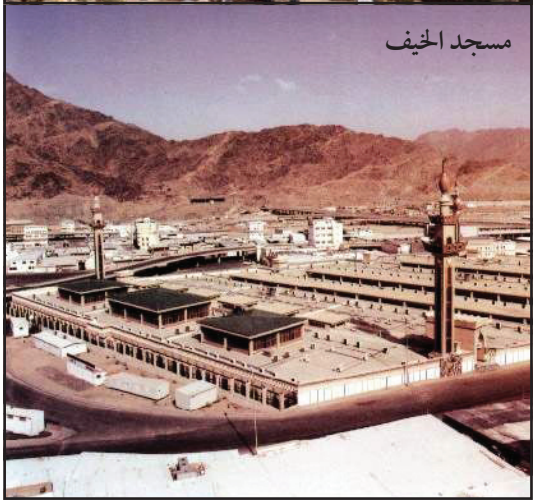

مسجد الخيف

(آساف)، وهو البحر (اليم) الذي غرق فيه فرعون وجنوده[١٢].

٧- اليم: إذا أطلقت لفظة (اليم) فإنها تدل على نيل مصر وقد أمرت أم موسى حين ولدته وخافت عليه من فرعون أن تجعله في تابوت وتقذفه في نيل مصر[١٣]، أما إذا تقدمت كلمة (يم) على كلمة أخرى فالمعنى يدل على البحر كما في قولنا يم القلزم أي بحر القلزم.

٨- مسجد الخيف: (الخيف) ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه يسمى مسجد الخيف بمنى[١٤]، وقد نزله رسول الله ﷺ وناحيته من منى ويقع في سفح جبلها وأخاف القوم إذا أتوا خيف منى فنزلوه، وقد يقال له مسجد منى[١٥].

٩- بئر شيع: وقيل بئر سبع، ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك[١٦]، فيه سبع آبار، ويقال إن إسحاق بن إبراهيم كاتب على بئر ملكاً يقال له أبو مالك وتعاهد على البئر بسبعة من الكباش (جمع كبش) فسميت بذلك (سبع)[١٧]، تلفظ السين شيناً في العبرانية فيقال للعدد (٧) شبعاً، وقد ذكروا إن بئر شيع هي بئر طمها عمال ملك أسمه أبو مالك فسأله النبي إسحاق عليه السلام أن تعاد وتكنس ففعل أبو مالك ذلك ورمى بقمامتها فيكون معناه مأخوذ من قولك شاعت الناقة إذا رمت ببولها ويجوز أن يكون المعنى مأخوذ من الشيع وهم الأصحاب والأعوان لتشايعهم

بئر شيع (سبع)

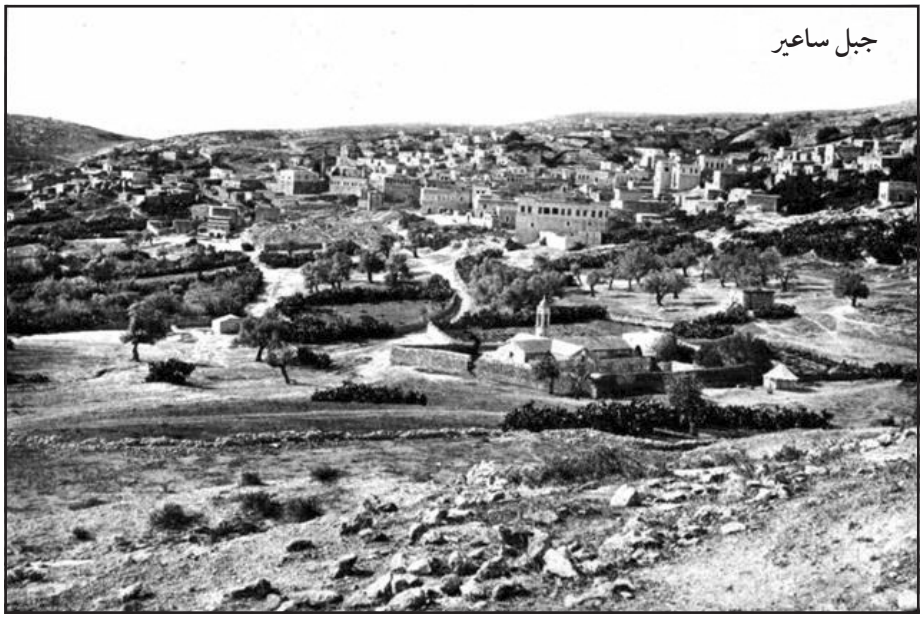
جبل ساعير

على حفرها وكنسها ومنه قوله تعالى: (من شيع الأولين) أي أصحابهم[١٨].

١٠ـ بيت إيل: بيت المقدس ويجوز أن يكون معناه بيت الله لأن (إيل) بالعبرانية تعني (الله)[١٩] وهي مدينة على بعد أحد عشر ميلاً من (أورشليم) إلى الشمال كان اسمها عند الفلسطينيين (نوراء) فأطلق عليها نبي الله يعقوب عليه السلام (بيت إيل) لأنه بنى بيت المقدس فيها[٢٠].

١١ـ ساعير: وهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل عليه إلى عيسى بن مريم عليهما السلام[٢١]، وجاء تعريف له في التوراة نصه: (أسم لجبال (فلسطين) وهو من حدود الروم وساعير قرية من الناصرة بين طبرية وعكا، كانت محلة لنبي الله عيسى وقد ظهر أمره منها)[٢٢].

١٢ـ فاران: جبل من جبال مكة بينها وبينه يوم على ما روي[٢٣]، وقد نقل (لقد كان بدء الوحي في غار حراء وهو جبل على ثلاثة أميال من مكة ويقال هو جبل فاران الذي ورد ذكره في التوراة إلا أن الظاهر هو أن (فاران) اسم لجبال مكة كما صرح به ياقوت في معجم البلدان لا لخصوص حراء)[٢٤]، بمعنى أن جبل حراء هو من جبال فاران.

وقد ورد في التوراة: (جاء النور من قبل طور سيناء وأضاء للناس من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران)[٢٥]، فبيّن الإمام الرضا عليه السلام معاني هذا الحديث إلى رأس الجالوت الذي ناظره قائلاً: أما قوله جاء النور من قبل طور سينا فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء وأما قوله وأضاء للناس من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم وهو عليه أما قوله واستعلن علينا من جبل فاران فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم، وقد تلألأ بنور نبوة

جبل فاران

محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

١٤ـ ربوات المقدسين: الربوة ما ارتفع من الأرض وكذا الرابية والربوات مواضع نزول الوحي على موسى عليه السلام[٢٦].

١٥ـ المنبجسات: العيون الجارية من الحجر وإليها الإشارة في التنزيل (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً)[٢٧] ■

(١) الطريحي، مجمع البحرين، ٤١٤/٢.
(٢) ابن الأثير، البداية والنهاية، ٤٤٠/٢.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٦/٨٧.
(٤) المصدر السابق، ١١٠/٨٧.
(٥) الحموي، معجم البلدان، ٣٠٠/٣.
(٦) ابن طاووس، جمال الأسبوع، ص٣٢٥.
(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١١١/٨٧.
(٨) المصدر السابق.
(٩) المصدر السابق، ١٨٩/١٣.
(١٠) المصدر السابق، ١١٩/٨٧.
(١١) المصدر السابق، ١١٢/٨٧.
(١٢) ابن منظور، لسان العرب، ٦/٩.
(١٣) المصدر السابق، ٦٤٧/١٢.
(١٤) الحموي، معجم البلدان، ٤١٢/٢.
(١٥) الجوهري، الصحاح، ١٣٥٩/٤.
(١٦) الحموي، معجم البلدان، ١٨٥/٣.
(١٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١١٤/٨٧.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) المصدر السابق، ١١٥/٨٧.
(٢٠) المصدر السابق، ١١٦/٨٧.
(٢١) الصدوق، التوحيد، ص٤٢٧.
(٢٢) الحموي، معجم البلدان، ١٧١/٣.
(٢٣) الطريحي، مجمع البحرين، ٢٩٦/٣.
(٢٤) مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ٢٥١/٢.
(٢٥) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١٤٨/٢.
(٢٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٣/٨٧.
(٢٧) المصدر السابق، ١١٢/٨٧.

النباتات الطبية.. أسرار وخفـــايا

د. باقر جلاب هادي الربيعي ●
كلية الزراعة/ جامعة المثنى

ينابيع

لقد شاع التوجه نحو النباتات الطبية في العقود الأخيرة من القرن الحالي، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها عدم حصول تأثيرات جانبية للأدوية العشبية مقارنة بالعلاجات الكيميائية إضافة إلى ثبات نجاحها في معالجة العديد من الأمراض المستعصية والتي وقف الطب عاجزاً أمامها، وتختزن النباتات الطبية مواد مهمة لها تأثيرات فعالة على مجمل التفاعلات الحيوية في جسم الإنسان والكثير منها يقوي جهاز المناعة. وقد أكد الإسلام من خلال الكثير من الآيات القرآنية إلى ضرورة الالتفات إلى هذه النعمة التي حباها الله عز وعلا إضافة إلى أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم معلم البشرية والصادق الأمين ومما عزز ذلك أيضاً اهتمام أهل البيت عليهم السلام بها والتوصية بالتداوي بالكثير منها ويكفي القول إن الله عز وجل في كتابه العزيز لم يحرم حيواناً باسمه إلا الخنزير وجاءت السنوات تترى لتؤكد ذلك، فقد شاع خلال الفترة الحالية مرض أنفلونزا الخنازير، وحسب تصريح وزير الصحة البريطاني بداية الشهر السابع فإن البريطانيين سيصابون بمعدل (١٠٠٠٠٠) شخص يوميا مع نهاية شهر آب وبداية الشتاء أي مع بداية تحرك مرض الأنفلونزا.

لقد قالها أمير المؤمنين عليه السلام قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة.. (ما من داء إلا وفي الحبة السوداء شفاء منه إلا السأم)[١] والسأم يعني الموت.. - (والحبة السوداء من الأعشاب الطبية المهمة والتي تجرى عليها سنويا مئات البحوث العلمية للوصول إلى جزء يسير من أسرار هذا النبات) - وجاء العلم الحديث وثورة المعلومات الهائلة لتؤكد ما قاله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن زيت الحبة السوداء يوقف توسع البؤر السرطانية عند الفئران المعالجة. أليس هذا دالا على عظمة الإسلام وصدق المعلم الأول. وما يعزز ذلك انه كان حبيبنا وسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام يكثر من التغذية على النباتات الصحراوية وحينما سُئلَ لماذا؟ قال: (ألا إن الشجرة البرية أصلبُ عوداً والروائع الخضرة أرقُّ جلوداً)[٢] كان يشير عليه السلام إلى أن المواد المختزنة في النباتات الصحراوية والتي أعطتها هذه القدرة على مقاومة الظروف القاسية كالحر الشديد والبرد القارص وظروف الجفاف وإجهاد العطش كل هذه الظروف الشاذة وغير الطبيعية قد تحملها النبات بسبب تواجد مواد خاصة أعطته هذه الملكة في مقاومة هكذا ظروف، عليه فحينما يتغذى الإنسان على هذه النباتات سوف تنتقل هذه المواد إليه وربما تزيد من تقوية جهاز المناعة لديه، وعاضد الإمام الصادق عليه السلام هذا الاتجاه وأشار بأحاديث كثيرة إلى أهمية التداوي بالأعشاب الطبية، والأمثلة على ذلك كثيرة.

لقد خلق الله سبحانه هذا الكون، وجعله نظاما محكما، تعتمد فيه المخلوقات على بعضها البعض، ولعل أحد أوجه هذا الاعتماد ذلك الذي يوجد بين الحيوان والنبات، فالنباتات تستطيع أن تحول طاقة الشمس إلى مواد كاربوهيدراتية، مستغلة بذلك ثاني اوكسيد الكربون الموجود في الجو والماء وصبغة الكلوروفيل الخضراء لتكون النتيجة هي ما نسميه الغذاء في ابسط صوره،بالمقابل يوفر الحيوان الكثير من الأساسيات لحياة النبات، سواء كان في شكل فضلات أو تحلل جثث الحيوانات ذاتها، لتكون المادة التي تزدهر عليها حياة النبات، والإنسان خليفة الله في الأرض، سخر الكثير مما يصنعه النبات

فـي أغراض حياته، ولعل اسـتعمال النبات فـي التطب والقضاء علـى الأمراض.. هو أحد أوجه هذا التسـخير، فالأمراض بدون شـك ملازمة لكل مخلوق منذ البداية، وعن طريق المحاولـة والخطأ من قبل الإنسـان اسـتطاع أن يثبت النتائج الايجابية وينبذ ما دون ذلك، لذلك فالحضارات على اختلاف ثقافاتها ومواطنها كلها تقدم أدلة قاطعة على اسـتعمال النباتات في المـداواة إلى جانب الاستعمالات الأخرى.

وفـي العصر الحديـث حلّـت الكيمياء إلى حـد كبير محـل المصـادر البيولوجية للدواء عن طريق تصنيع المركبات الدوائية المختلفـة كيميائيا، غير انـه في العديد من الحـالات وجـد أن آثـارا جانبية تنشـأ عن تعاطـي تلك الأدويـة، وفي حـالات كثيرة تكون ممرضة أكثر من المرض نفسـه، من هنا بدأ الكثيرون في التفكير ملياً في العودة إلى المصادر الحيوية لتصنيع الأدوية، حيث إنها أكثر أمناً وسلامة وهذا ما أكده المؤتمر الرابع عشر لعلماء النبات المنعقد في برلين ألمانيا الغربية من

(٢٤ – ٣١ / ٧ / ١٩٨٧) حيـث أوصـى بالتركيز على ضرورة زيادة الاهتمام بالنباتات الطبيـة والمحافظـة عليها مـن الانقراض.

إن زيـادة التوجـه نحو النباتـات الطبية لـه مبرراته فإضافـة إلى تأثيرهـا الدوائي فـإن هناك جانبـا اقتصاديا مهمـا في هذا المجال فقد أثبتت الأبحاث أيضاً أن الإيراد المتحصـل عليـه مـن دونم واحـد مزروع أعشاب طبية يفوق بكثير إيراد نفس الدونم المـزروع من محاصيل الخضـر كالطماطم مثـلاً، وتجتهد شـركات الأدويـة من اجل الحصـول على مـواد أوليـة لمصانعها ولا أفضل من النباتات الطبية لتسـد هذا الفراغ لتستمر دورة الإنتاج وعجلة التقدم.

إن بيئـة الوطـن العربي عامـة والعراق خاصـة هـي زاخـرة بالعديد مـن النباتات الطبية التي بحاجة ماسـة إلى مسـح شامل لتواجدها وتحديد متطلبات عيشـها وتوفير ظروف النمو الملائمة لها وتخصيص مبالغ مالية قدر المسـتطاع وتجنيـد باحثين أكفاء في هـذا المجـال، ولابد أن ننـوه هنا إلى جهود وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي والتي خصصـت جزء مـن ميزانيتها لدعم هذا التوجه بالمال والباحثين مع التأكيد إلى أن احتياجـات النباتات الطبية بسـيطة جدا بسـبب مقاومتها للعديد من الأمراض التي تفتك بمحاصيل الخضر والفاكهة.

وتكاد تنفرد الحبة السـوداء بآلية خاصة كونهـا تعالـج قائمـة طويلـة عريضـة من الأمراض الشـائعة والمستعصية عليه سوف نخصص موضوع العـدد الحالي حول نبات الحبة السـوداء.. والذي يسـمى أحيانا حبة البركة أو الكمون الأسود أو الكمون الأسعد أو الشـونيز، والاسـم الإنكليـزي لهـا هو Black cumin أما الاسـم العلمي لها فهو Nigella sativa L. وتتبع العائلة الشقيقية Ranunculaceae..

وتأكيداً لقول المصطفى فقد وضع الله عز وجل أسراراً شتى في هذا النبات ويكاد يكون لهذا النبات مفعولا سـحريا على بناء الصحة العامة عند البشر

الوصف النباتي

الحبة السـوداء نبات عشبي حولي قائم يتراوح ارتفاعه بين (١٥-٦٠) سم يتفرع من القاعدة باتجاه الأعلى، الساق شاحبة الأوراق قاعديـة بيضوية ثنائية إلـى ثلاثية التجزؤ، السويق قصير الأوراق العليا مشابهة للقاعدية

ولكـن بتقسـيمات اقل وتصبح جالسـة في الأعلى وهي لا تملك شعيرات غدية، تتكون الأزهار على السـاق الرئيسي والأفرع وهي ثنائيـة الجنس، والأوراق الكأسـية (٥ – ٨) ورقة ذات مخلب قصير خضراء إلى صفراء اللون تتحول إلـى اللون البني عند النضج، الأوراق التويجية بيضاء اللون مشوبة بزرقة باهتة بيضوية واسـعة طولها (١٢ – ١٥) سم ذات مخالب ضيقة طولها (٣) ملم، الاسدية بعدد المدقـات والمتـوك متطاولة صفراء والكربلات حوصلية تندمج في قمتها مكونة مدقة واحـدة مركبة، الثمـرة علبة خضراء اللـون تتحول إلـى اللون البني أو الأسـود عند النضج وتنثـر البذور، والبذور صغيرة هرمية بيضوية الشـكل سوداء اللون طولها تقريبا (٣) سـم والتلقيح خلطي بالحشرات وتتكاثر بالبذور...

مكونات الحبة السوداء

اتضح أن بذور الحبة السـوداء تحتوي علـى (٤٣،٣ ٪) كاربوهيـدرات، و (٢١٪) بروتين، (٣٥،٥ ٪) دهون، و (٥،٥ ٪) رطوبة و(٣،٧ ٪) رماد، وتحتوي البذور على زيت طيـار وزيـت ثابت، أما الزيـت العطري الطيار والذي يتم الحصول عليه بواسـطة عملية التقطير بالبخار فتتراوح نسـبته من (١ – ١،٥ ٪) ويحتوي علـى مادة النيجيلون والتـي تسـتخدم لعـلاج الربو الشـعبي والنزلات المزمنة من شدة البرد والسعال الديكي، وكذلك يحتوي الزيت الطيار على مادة الثايموهايدروكوينون ونسبتها (٠،٥٪) وتسـتخدم ضد بكتريـا التعفـن المعوي كمـادة مطهرة للفلـورا المعويـة الضارة. أمـا الزيـوت الثابتة فـي الحبة السـوداء فتتراوح نسـبتها مـن (٣٠-٣٥٪) وتشـمل الأحمـاض الدهنية المكونـة منها حامض اللينوليـك (٥٦٪)، والأوليـك (٢٤،٦٪)، والبالمتيـك (١٢٪)، و والاسـيتارك (٣٪)، والايكوسـاونيك (٢:٥٪)، واللينوليـك (٠،٧٪)، و والميرستيك (٠،١٦٪).

زهرة الحبة السوداء

مواعيد وطرق زراعة الحبة السوداء

يمكن زراعة الحبة السوداء في نهاية الشهر العاشر ومع بداية الشهر الحادي عشر ويفضل عدم التبكير أو التأخير عن هذا الموعد.. وتجرى عملية الزراعة بالألواح والمسافة بين النباتات هي (٢٠) سم والمسافة بين الخطوط (٥٠) سم.. ويتم الحصاد عادة في نهاية الشهر الرابع وأول ايام الشهر الخامس بعد تلون العلب باللون البني واكتمال تكوين البذور السوداء.. ويعطي الدونم الواحد حوالي (١٠٠ – ٢٠٠) كغم اعتمادا على عمليات خدمة المحصول وخصوبة التربة وبرامج المكافحة والتسميد المتبعة..

علاجات الحبة السوداء

١ـ علاج آلام الظهر

يُقلى نصف كيلو غرام من الحبة السوداء ويطحن جيدا.. ثم يُعجن في ١٥٠ غرام من العسل النقي.. يُؤخذ من هذا المعجون مرتين في اليوم، بعد الإفطار والعشاء بحوالي ساعة، وذلك لمدة عشرة أيام.

٢ـ لطرد الغازات وعلاج الانتفاخ..

يؤخذ مئة غرام من الحبة السوداء مع ٧٥ غم من سكر النبات، تسحق الكميتان جيدا، وتخلطان ويؤخذ من هذا الخليط صباحاً ومساء مقدار نصف ملعقة على هيئة سفوف.. ويفضل أن يتبعها شرب كمية من الماء ليسهل بلعها..

٣ـ لحالات التوتر العصبي..

يوضع خمسة نقاط من زيت الحبة السوداء على فنجان من القهوة..

وهذا يعمل على تهدئة الأعصاب المتوترة...

٤ـ لعلاج الكحة والربو..

تفيد مادة النيجيلون الموجودة في الحبة السوداء في علاج أزمات الربو وحالات الكحة والسعال الديكي..

٥ـ لعلاج التهابات اللثة والأسنان..

تطبخ الحبة السوداء بعد طحنها بالخل، ويستخدم هذا المزيج كمضمضة لعلاج حالات ألم الأسنان وخاصة تلك الحالات الناتجة عن نزلات البرد..

٦ـ لعلاج حالات الارتخاء الجنسي..

تطحن الحبة السوداء وتخلط جيدا بزيت الزيتون واللبان الذكر...

وهذه وصفة تفيد الباه بعد اليأس..

٧ـ للوقاية من البرد ونزلاته..

يوصى باستخدام الحبة السوداء أو زيتها، أو مطبوخا في الجو البارد، لأنها خير وقاية من أمراض البرد، وينصح بعدم الإكثار منها في الجو الحار..

٨ـ علاج حصوات الكلى والمثانة..

يُطحن ربع كيلو من الحبة السوداء ثم يعجن جيدا بالعسل..

تمزج ملعقتان من هذا المخلوط في نصف كوب من الماء، ويشرب هذا المزيج على الريق يوميا..

٩ـ لعلاج الجرب..

يطحن كوب من الحبة السوداء ويعجن جيدا مع كوب وربع من خل التفاح...

توضع طبقة من هذا المعجون على الجزء المصاب وتترك لمدة أربع ساعات يوميا.. ويستمر هذا العلاج لمدة أسبوع..

١٠ـ علاج حب الشباب

يسحق كوب واحد من الحبة السوداء مع نصف كوب من قشور الرمان، ويخلطان جميعا مع كوب واحد من خل التفاح.. يسخن هذا الخليط لدرجة تتحملها البشرة.. ويخلط

بمقدار مساوٍ له من زيت الحبة السوداء، تدهن الحبوب والثآليل الموجودة بالوجه مساءً وقبل النوم بفترة كافية..

يستمر هذا العلاج حتى تختفي هذه البثور.

١١- علاج الصداع

تؤخذ كميات متساوية من الحبة السوداء والينسون والقرنفل.. تطحن هذه الكميات جيدا وتخلط

يؤخذ من هذا المخلوط مرتين في اليوم على هيئة سفوف قبل الإفطار والعشاء..

ويستحسن استعمال الماء في ذلك لتسهيل عملية البلع..

١٢- علاج البهاق والبرص

يؤخذ كمية من الحبة السوداء ثم تطحن حتى تصير ناعمة، ويضاف إليها خل التفاح بالتدريج حتى تصير كالعجينة اللينة، يوضع من هذا المعجون على المكان المصاب مرة واحدة في اليوم ويلف بقطعة من الشاش النظيف، مع مراعاة عمل هذه التركيبة من الدواء يوميا حتى لا يفقد العلاج قدرته العلاجية بسبب التخزين.

١٣- علاج الناسور

يتحمل بمعجون الحبة السوداء الممزوجة مع زيت الزيتون مع الصمغ العربي مساء..

١٤- علاج أمراض النساء والولادة ولحفظ الجنين..

تشرب الحبة السوداء مغلية مع الينسون ومحلاة بالعسل خمس مرات يومياً.. ■

(١) بحار الأنوار، المجلسي ١١٥/١٠.

(٢) نهج البلاغة ٧٣/٣.

الحبة السوداء

الصحف والمجلات الصادرة في كربلاء المقدسة

من سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م

إلى سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

للصحافة دور بارز في حمل رسالة الفكر العربي وتعميق الوعي، وهي لسان حال الأمة الناطق المعبر عن رأيها. تقدم للملأ صورة صادقة لتلك الأمة، فتعرف منها الحقائق الناصعة في عالم السياسة والثقافة والأدب. وكانت الصحف فيما مضى من الزمان الطريق الأول الذي نقل أفكار الكتاب إلى الشعب، وهي بالتالي وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وتنمية روح العز والكرامة في نفوس أبنائه، وإذا أردنا أن نعدد وجوه النهضة في العراق وجدنا أن الصحيفة كانت أبعد أثراً من الكتاب والخطابة في أغلب الأحيان.

وقد أخذت بعض الصحف ترسل شواظاً من نار على المستعمر الآثم وعلى قوى الاحتلال والاستبداد التي فرضت سيطرتها على الصحافة وأرغمتها على إتباع القوانين وأصدرت العقوبات بحقها. ولما تم للانكليز الاستيلاء على العراق وبسطوا سيطرتهم عليه، صدرت بعض الصحف اليومية باللغتين الإنكليزية والعربية تنطق بلسانهم وتؤيد سياستهم.

وفي كربلاء صدرت مجموعة من الصحف تندد بسياسة الإنكليز بعد دخولهم

العراق سنة ١٩١٤م أي قبل الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م. وقد استمرت الصحافة في كربلاء رغم انها ضعفت في الفترة التي سبقت سقوط النظام البائد سنة ٢٠٠٣م. وسنحاول هنا تقديم صورة واضحة ـ قدر الإمكان ـ للصحف والمجلات في كربلاء منذ صدورها وحتى سقوط النظام، منوهين بسياستها ونهجها التي تعمل بموجبها وصاحب الامتياز ومدة صدورها.

الصحف

١ـ الانتباه:

صحيفة أصدرها في كربلاء لبيب الملك علي آقا الشيرازي سنة ١٩١٤م. صدر منه (٢١) عدداً، وصب جام غضبه على الإنكليز.

٢ـ حقائق:

صحيفة أصدرها لبيب الملك الميرزا علي آقا الشيرازي، ثم أغلقت.

٣ـ الانتقام:

صحيفة أصدرها لبيب الملك ميرزا علي آقا الشيرازي بعد غلق الصحيفة السابقة (حقائق).

٤ـ غيرت كربلا:

صحيفة سياسية أصدرها لبيب الملك الميرزا علي آقا الشيرازي بعد أن تعطلت صحيفة (الانتقام). وقد خصصت مقالاتها ضد الإنكليز والروس[١].

٥ـ الاتفاق:

جريدة عربية أنشأها في كربلاء لبيب الملك الحاج ميزا علي الشيرازي الحائري، برز عددها الأول في ٧ آذار سنة ١٩١٦م، وقد توج صدورها الشاعر الكربلائي الحاج محمد حسن أبو المحاسن بهذين البيتين:

قل لمن حاول مجداً أنه
ثمر حلو الجنى حلو المذاق
ما جنته أمة قبل ولا
يجتنى إلا بجد واتفاق

٦ـ الغروب:

جريدة أسبوعية أدبية، صدر عددها الأول يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ و(٢٤ تموز سنة ١٩٣٥م) لصاحبها الأديب عباس علوان الصالح[٢]. وصدر منها (٣٧) عدداً كانت تصدر في ثماني صفحات. ساهم في تحريرها العديد من الكتاب المعروفين، وتوقفت عن الصدور في ١٩٣٨/٦/٩م بعد أن صدر منها (٣٦) عدداً.

عباس علوان الصالح

(١) المقالة الصحفية في الأدب الفارسي المعاصر، د. زكي الصراف، ص٥٩٦.

(٢) عباس بن علوان بن صالح الطهمازي الخفاجي، ولد في كربلاء سنة ١٩١٣م، كاتب جريء وصحفي قدير له اليد الطولى في الصحافة، فقد أصدر جريدتين في كربلاء هما (الغروب) و(الأسبوع) وجريدتين في بغداد هما (الأنباء المصورة) و(الأمالي). ثم أسس في كربلاء (مطبعة الشباب). نشر الكثير من الدراسات الأدبية الهادفة في الصحف والمجلات العراقية. صدر له كتابان هما (الأخيضر) و(المعاهدة العراقية الإنكليزية). توفي بتاريخ ١٩٩٤/١/١٥م المصادف لسنة ١٤١٤هـ ودفن في الوادي الجديد.

الغروب

الندوة

٧ـ الندوة:

جريدة أدبية أسبوعية جامعة، رئيس تحريرها المحامي السيد محمد مهدي الوهاب آل طعمة[1]، صدر منها (١٤) عدداً، وقد سعت بنشر الثقافة الواعية، ونشرت الكثير من المقالات والقصائد والبرقيات التي تناولت حركة رشيد عالي الكيلاني وأخبار الحرب فضلاً عن أخبار ثقافية أخرى تتصل بواقع الأحداث، فكانت صوتاً رائداً من أصوات الإصلاح. صدر منها (١٤) عدداً، ثم توقفت عن الصدور.

٨ـ القدوة:

جريدة أدبية أسبوعية جامعة، صاحبها ورئيس تحريرها رحيم خضير الكيال[2]، ومديرها المسؤول المحامي حسن عبد الله. طبع بعض أعدادها في بغداد، ثم طبعت في النجف. صدر عددها الأول يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠هـ المصادف ليوم ٢ نيسان ١٩٥١م. وكان آخر

محمد مهدي آل طعمة

(١) السيد محمد مهدي بن عبد الوهاب رئيس بلدية كربلاء ابن عبد الرزاق بن عبد الوهاب سادن الروضتين الحسينية والعباسية وحاكم كربلاء ابن السيد محمد علي سادن الروضة الحسينية ابن السيد عباس نقيب الأشراف ابن نعمة الله آل طعمة من آل فائز الموسوي الحائري. ولد في كربلاء سنة ١٩١٤م وتوفي ١٩٨٥/٧/٤م، محام جليل قوي الحافظة، عالي الهمة، حر الرأي، حاد الذهن، أسس جمعية أدبية باسم (ندوة الشباب العربي) سنة ١٩٤١م وأصدر جريدة باسم (الندوة). من آثاره المطبوعة: محاضرات في شرح مجلة الأحكام الدولية.

(٢) رحيم بن خضير الكيال: صحفي مشهور، وشخصية مشهود لها

عدد من صدورها يحمل الرقم (٦٠).

٩ـ شعلة الأهالي:

من أشهر الصحف الأسبوعية التي صدرت في كربلاء بتاريخ ١٩٦٠/٢/١٥م، صاحبها ورئيس تحريرها المحامي السيد عبد الصاحب يوسف الأشيقر[1]. كانت تعكس في صفحاتها إخلاص وتفاني الكربلائيين في دعم قضايا الوطن. وكان لها أبعد الأثر في حمل رسالة الفكر العربي. صدر منها (٢٨) عدداً، وأصدرت أعداداً خاصة بمهرجان الإمام علي العالمي الذي أقيم في كربلاء، وعدداً خاصاً بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وعدداً خاصاً بالجزائر. احتجبت عن الصدور بتاريخ

القدوة

بالصلاح، كان له باع طويل في مجال الصحافة، فقد أتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من أقرانه، فكان لطيف المعشر، محباً للنكتة، سمح الأخلاق، أصدر جريدة (القدوة) سنة ١٩٥١م، توفي بتاريخ ١٩٧٦/٥/٢١م المصادف لسنة ١٣٩٦هـ ودفن في الوادي الجديد.

(١) هو السيد عبد الصاحب بن يوسف بن أحمد الأشيقر الموسوي، ولد في كربلاء سنة ١٩٢١م صحفي جليل ومحام مشهور ولكنه لم يمارس المحاماة، فقد كان كاتباً صادق اللهجة، وطني النزعة، مرهف الحس والشعور. أصدر في كربلاء جريدة (شعلة الأهالي) سنة ١٩٦٠م، وهي فرع لجريدة (الأهالي) البغدادية، واتسمت بالطابع الأدبي والسياسي. توفي سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م في الباكستان ونقل جثمانه إلى كربلاء، ودفن في الحديقة العائدة لوالده في حارة آل الأشيقر بمحلة العباسية الغربية.

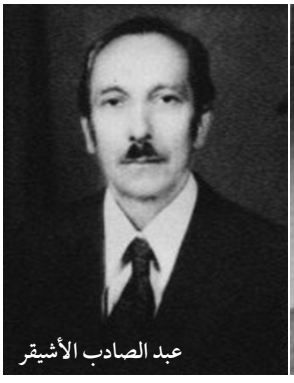
عبد الصادب الأشيقر

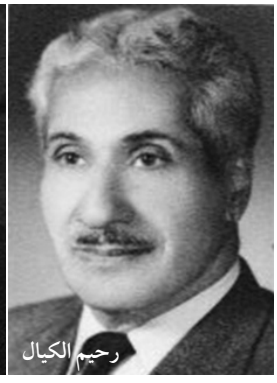
رحيم الكيال

١٩٦١/٨/٦م.

المجلات

١ـ الكوكب:

مجلة علمية وأدبية تصدرها مدرسة كربلاء المتوسطة صدر عددها الأول وطبع في النجف مطبعة الراعي سنة ١٩٣٢م/١٣٥١هـ. يقع في (٦٧) صفحة. تناول العدد موضوعات مختلفة في العلم والأدب والاجتماع واشترك في تحريرها فريق من المدرسين والطلاب.

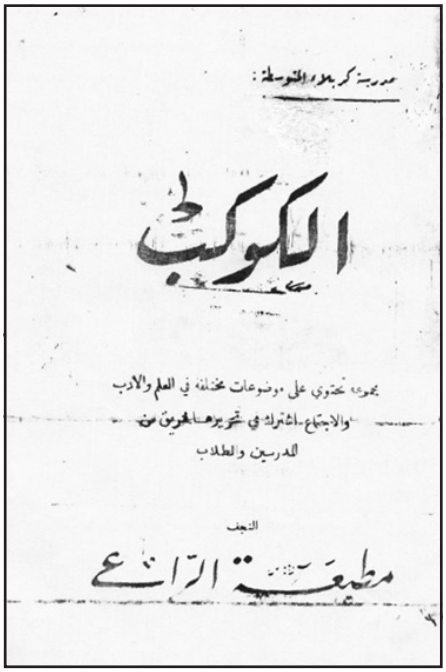

٢ـ المنار:

مجلة تصدرها مدرسة كربلاء الثانوية للبنين، صدر عددها الأول سنة ١٩٤٧م/١٣٦٧هـ وطبع بمطبعة دار النشر

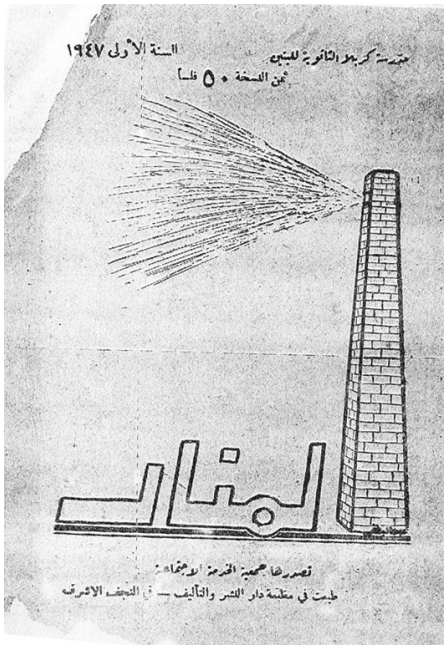

والتأليف بالنجف. ساهم في العدد أدباء وشعراء كربلاء من مدرسين وطلاب، وتناول موضوعات في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والأدبية.

٣ـ صوت ثانوية كربلاء:

مجلة ثقافية عامة تصدرها ثانوية كربلاء للبنين، صدر عددها الأول وطبعت في المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٩٥١م، تقع في (٣٥) صفحة بالحجم الكبير، ساهم فيها فريق من المدرسين والطلاب، وفيها بحوث شيقة تعكس الوجه المشرق للأدب الكربلائي.

٤ـ رسالة الشرق:

مجلة أدبية ثقافية جامعة، تصدر مرة في كل شهر، صاحبها السيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني[1]، ومديرها

(١) السيد صدر الدين بن محمد حسن بن مهدي الحكيم الشهرستاني، ولد في كربلاء سنة ١٣٥١هـ/١٩٢٩م

المسؤول المحامي حسن حيدر، كان أول عدد صدر منها في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م واستمرت على الصدور عاماً واحداً.

٥ـ الاقتصاد:

مجلة اقتصادية أسبوعية هدفها خدمة المصالح التجارية واقتصاديات البلد، تصدرها غرفة تجارة كربلاء، صدر عددها الأول في ١٥ تموز سنة ١٩٦٠م، نشرت المقالات الاقتصادية وقد احتوى كل عدد على (١٦) صفحة، وكان قد صدر منها (٩) أعداد فقط.

٦ـ أجوبة المسائل الدينية:

مجلة ملتزمة بالخط الإسلامي الهادف والثقافة الرصينة، أصدرها في كربلاء العالم السيد عبد الرضا المرعشي الشهرستاني[1]، صدر عددها الأول سنة ١٩٥١م واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٧١م، وكان مقرها في المدرسة الهندية الدينية. ولا يزال الكربلائيون يذكرون

السيد عبد الرضا الشهرستاني

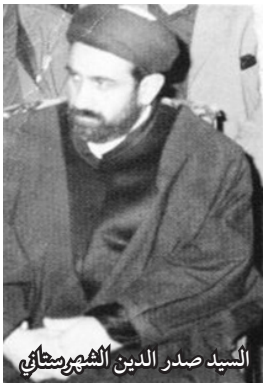
السيد صدر الدين الشهرستاني

خطيب شهير وشاعر لامع متوقد الفكر، أصدر مجلة (رسالة الشرق) عام ١٩٥٤م، وصدر له كتاب (التبرج). نشرت قصائده في معظم الصحف والمجلات العراقية والعربية وبالأخص مجلة (العرفان) اللبنانية. وكان مشهوراً بعلو الهمة ومعرفة الأدب والبلوغ إلى أعالي الرتب.

(١) هو السيد عبد الرضا بن زين العابدين بن محمد حسين الحسيني المرعشي الشهرستاني المولود سنة ١٩٣٩م، عالم جليل كان يقيم الجماعة للنساء في الروضة الحسينية في رواق السيد إبراهيم المجاب، صدر له: المعارف الجليلة في تبويب أجوبة المسائل الدينية ١٩٥٥م ـ ١٩٧٢م، النيروز في الإسلام، حاشية على القوانين، حكم صلاة الجمعة في عصر الغيبة وغيرها.

بالثناء على هذه المجلة التي دعت إلى إحياء النهضة الفكرية في هذه المدينة المقدسة، وحملت لواء العلم والأدب في هذا الجزء من أرض الوطن.

١٠ـ من وحي ذكرى أهل البيت عليهم السلام:

مجلة دينية تصدرها (اللجنة الدينية الأدبية) عن مدرسة السليمية الدينية. صدر منها (٧) أعداد، وكانت مواضيعها تصب في ذكرى مواليد أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وتعالج القضايا الثقافية بروح الجدية. كان صدور أول عدد منها في ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

١١ـ الأخلاق والآداب:

مجلة شهرية يصدرها فريق من الأساتذة في مدرسة السليمية الدينية بكربلاء وهي تعنى بالشؤون الدينية والأدبية والاجتماعية، صدر عددها الأول بتاريخ جمادى الثانية سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م وبعد أربع سنوات ألغي امتيازها.

١٢ـ صوت المبلغين:

مجلة شهرية إسلامية اجتماعية

دينية، صدرت عن مكتب صوت المبلغين بمدرسة البقعة الدينية، اشترك في تحريرها معظم خطباء كربلاء ومبلغيها وأهل الفضل والأدب، صدر العدد الأول منها في رجب سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ولغاية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

وكانت تعنى بشؤون الخطابة وأخبار المجتمع.

١٣ـ صوت شباب التوحيد:

مجلة أصدرتها هيئة شباب التوحيد، وكان صدور عددها الأول سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، تعنى بشؤون العلم والأدب والاجتماع، صدر منها ثلاثة أعداد فقط، وساهم فيها لفيف من شعراء وأدباء المدينة.

١٤ـ مبادئ الإسلام:

مجلة إسلامية شهرية عامة، تصدر باللغة الإنكليزية عن مدرسة البادكوبة الدينية. صدر عددها الأول ربيع الأول سنة ١٣٨٣هـ، وساهم فيها كتاب

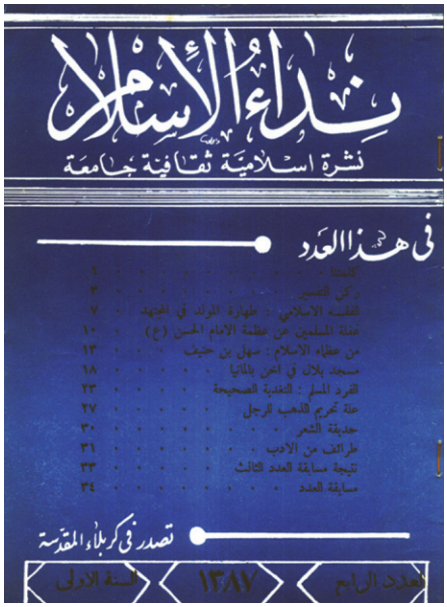

إسلاميون من شتى أنحاء العالم، وصدر منها عشرة أعداد، وألغي امتيازها بتاريخ ١٩٦٩/١/٨م.

١٥ـ ذكريات المعصومين:

مجلة دينية أصدرها لفيف من الروحانيين في كربلاء، تيمناً بذكرى ولادات ووفيات الأئمة الأطهار عليهم السلام، صدر عددها الأول سنة ١٩٦٤م/١٣٨٥هـ، عن مدرسة السليمية الدينية.

١٦ـ نداء الإسلام:

مجلة دينية وأدبية هادفة، أصدرتها مدارس حفاظ القرآن الكريم الأهلية بتاريخ ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م وهي متمسكة بالخط الفكري الإسلامي، وشارك في تحريرها نخبة من أدباء المدينة، ظهر منها (٦) أعداد فقط.

١٧ـ رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية:

مجلة إسلامية شهرية جامعة، أصدرتها الجمعية الخيرية الإسلامية، وكان رئيس تحريرها الشيخ عبد الحسن البيضاني[1]، وهي طافحة بالمباحث الجليلة والروايات المفيدة والأخبار الصحيحة. ظهر عددها الأول في ١٩٦٦/٨/٢٨م /١٣٨٦هـ وشارك في تحريرها فريق من شباب كربلاء المثقف، عالجوا مسائل مختلفة من العلم واللغة والأدب والتاريخ وألغي امتيازها في ١٩٦٩/١/٨م ■

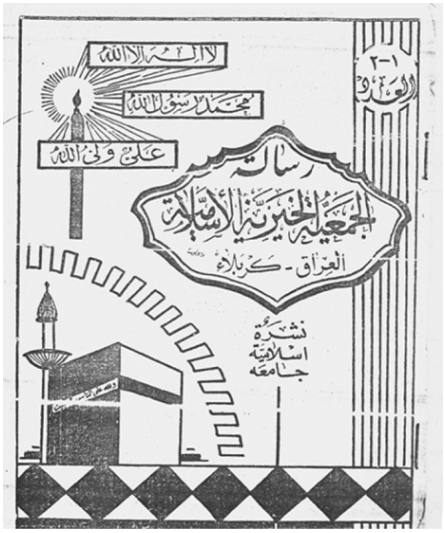

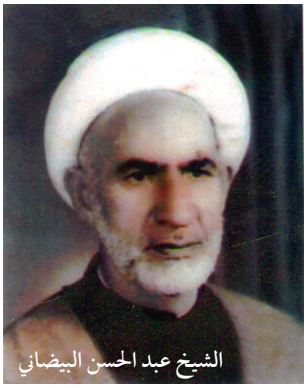
الشيخ عبد الحسن البيضاني

(١) الشيخ عبد الحسن بن الشيخ علي بن الشيخ زغير البيضاني الحائري، كان مدرساً بمدرسة المجاهد الدينية وعالماً جليلاً، ولد سنة ١٣٣٦هـ وتوفي يوم ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٤٠٥هـ. ترأس تحرير مجلة (رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية).

أجوبة مسابقة العددين (٢٩-٣٠) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ. أربعة

السـؤال الثـاني: ب. ١١٠٧هـ توبل/ البحرين

السـؤال الثالـث: أ. لما أتاه خبر السقيفة

السـؤال الرابـع: ج. حسان بن ثابت

السؤال الخامس: ب. مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

السؤال السادس: ب. العمدة

السـؤال السـابع: ج. عقيد الخادم

السـؤال الثامـن: ج. أربعة

السـؤال التاسـع: أ. فاس

الفائزة بالجائزة الأولى: أميرة مجيد حميد/ كربلاء المقدسة ـ طويريج.

الفائز بالجائزة الثانية: طاهر حسين السعداوي/ كربلاء المقدسة ـ طويريج.

الفائز بالجائزة الثالثة: أمير عبد الغني نعمة/ النجف الأشرف ـ حي العلماء.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٣٢)

١ **«لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضنا معك...»** من كلام قاله سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في واقعة حربية، وقد بيّن سعد تسليمه لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما هي الواقعة؟

أ ـ واقعة الأحزاب

ب ـ واقعة أحد

ج ـ واقعة بدر

٢ **وحسبك داء أن تبيت ببطنة**
وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

بيت تمثل به الإمام علي عليه السلام في كتاب أرسله لعامله يوبخه على حضوره لوليمة، فمن العامل وأي ولاية كان عليها؟

أ ـ عمر بن أبي سلمة/ البحرين

ب ـ عثمان بن حنيف/ البصرة

ج ـ الأشعث بن قيس/ أذربيجان

٣ جعفر بن محمد الأسدي الشهير بـ(**ابن نما**) من وجوه علماء الشيعة، ولد وتوفي في الحلة، له عدّة مؤلفات منها ما دلّت على شاعريته خصوصاً في المقتل الحسيني الذي ألّفه، فماذا أطلق على كتاب المقتل؟

أ ـ مثير المصائب

ب ـ مثير الهموم

ج ـ مثير الأحزان

٤ **يا من بدنياه اشتغل**
قد غرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة
والقبر صندوق العمل

صورة من التحذير أراد بها قائلها نصيحة الإنسان وحثّه على التزوّد للآخرة، فمن القائل؟

أ ـ الإمام علي عليه السلام

ب ـ أبو العتاهية

ج ـ المتنبي

كوبون مسابقة

ينابيع ٣٢

الاسم الثلاثي:

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ موضع معروف في مسجد الكوفة المعظم وعنده ضرب ابن ملجم (لعنه الله) الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فما اسم ذلك الموضع؟

أ ـ بيت الطست

ب ـ المنبر

ج ـ الدكة

٦ بيّن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لجابر الأنصاري أن قوام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف التعلم، وجواد لا يبخل بمعروفه، ورابع.. فمن هو؟

أ ـ ناصح لا يخفي نصحه

ب ـ فقير لا يبيع آخرته بدنياه

ج ـ عابد لا يمل من العبادة

٧ شهد المنصور العباسي للإمام الصادق عليه السلام بأنه ممن قال فيهم الجليل: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ ثم أتبع ذلك بقول، فما هو؟

أ ـ كان من السابقين بالخيرات

ب ـ كان من المصطفين الأخيار

ج ـ كان من العباد الوارثين

٨ ثلّة من أهل مصر يبايعون الإمام المهدي عليه السلام بين الركن والمقام ويشتركون مع أبدال الشام وأخيار العراق في تشكيل جيش الإمام، فماذا يطلق عليهم؟

أ ـ العصائب

ب ـ النجباء

ج ـ المناجيب

٩ حاكم مصر في عصر الظهور يثور ضدّه رجل يدعى (أمير الأمراء) فيقضي عليه، فما اسم هذا الحاكم؟

أ ـ الأخنس

ب ـ الأرقط

ج ـ الأصبح

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ذحج/١٤٣٠هـ.**